الملتقى الاستراتيجي
Strategic Forum




# العالم كما هو: ذكريات في البيت الأبيض بعهد أوباما - بين رودس

تلخيص: أحمد مولانا

## Contents


مقدمة ..... 3

الفصل الثاني: سياسة أوباما الخارجية: الحديث إلى إيران، ومطاردة بن لادن في باكستان ..... 4

الفصل الثالث: خطاب أوباما في برلين ..... 5

الفصل الرابع: الرحلات الخارجية الأولى لأوباما ..... 6

الفصل الخامس: السياسة الخارجية الأمريكية، ومدى تأثير الرئيس فيها ..... 7

خطاب جامعة القاهرة ..... 9

الفصل السادس: حرب أوباما في أفغانستان ..... 11

الفصل السابع: استراتيجية أوباما في أفغانستان ..... 12

الفصل الثامن: هدوء ما قبل الربيع العربي ..... 14

عواصف الربيع العربي 2011-2012 ..... 14

الفصل التاسع: الثورة في ليبيا ..... 18

الفصل العاشر: مقتل بن لادن ..... 20

الفصل الحادي: تجمع الغيوم ..... 20

الفصل الثاني عشر: الثورة في سوريا ..... 21

الفصل الثالث عشر: أزمة الفيديو المسيء ..... 22

الفصل الرابع عشر: الموقف من الثورة السورية والانقلاب في مصر ..... 24

الفصل الخامس عشر: ملف كوبا ..... 25

الفصل السادس عشر: الخط الأحمر في سوريا ..... 26

الفصل السابع عشر: لقاء لم ينعقد مع روحاني ..... 27

الفصل الثامن عشر: العرق، مانديلا، وكاسترو، وأبرز المواضيع المتبقية بالكتاب ..... 30

مواجهة داعش ..... 31

صدمة فوز ترامب ..... 31

## مقدمة

يهدف الملتقى الاستراتيجي عبر تقديم ملخصات موجزة لمذكرات قادة ومسؤولين غربيين غير مترجمة إلى اللغة العربية، إلى تسليط الضوء على القرارات وخلفيات الأحداث المرتبطة بالشأن الدولي، وبالأخص ما يتعلق بالعالمين الإسلامي والعربي.

وفي هذا الإصدار نقدم ملخصًا لمذكرات "بين رودس" الذي عمل كاتبًا لخطابات أوباما خلال حملته الرئاسية الأولى ثم شغل رودس وظيفتين رسميتين في ذات الوقت في عهد أوباما (2008-2016)، الأولى نائب مدير كتابة الخطب في البيت الأبيض، والثانية مدير أول لكتابة الخطابات في مجلس الأمن القومي، ولاحقًا عمل رودس نائبًا لمستشار الأمن القومي للاتصالات الاستراتيجية حيث تولى المسؤولية عن إعداد أوباما لمؤتمراته ومقابلاته الصحفية، والتنسيق بين المتحدثين باسم الخارجية والدفاع والوكالات الأخرى.

إنَّ رودس أمريكي من جذور بولندية وألمانية، وُلد عام 1977 من أم يهودية، ليبرالي الفكر، ورغم أنَّه غير صهيوني التوجه لكنه متأثر باليهودية؛ إذ يقول عن نفسه (لقد نشأت ضمن الكنيسة الأسقفية لوالدي، ولكني كنت مدركًا لهويتي اليهودية التي كانت حاضرة بشكل بارز من خلال الأسرة).

بين رودس

## الفصل الأول: تعريف بشخص رودس[1]

عمل رودس باحثًا في مركز وودرو ويلسون الدولي، وانضم إلى مجموعة العمل الخاصة بدراسة العراق، وهي مجموعة من المسؤولين السابقين وخبراء السياسة الخارجية برئاسة لي هاميلتون ووزير الخارجية السابق جيمس بيكر، طُلب منها وضع استراتيجية لمعالجة التعثر في مسار حرب العراق.

سافر رودس إلى العراق في عام 2006 ضمن اللجنة المذكورة، وتولى تحرير تقرير اللجنة الذي وصف "الوضع في العراق بأنَّه خطير ومتدهور"، ودعا إلى انسحاب تدريجي للقوات الأمريكية، لكن الرئيس بوش فعل العكس وأرسل المزيد من القوات للعراق.

ونظرًا لأنَّ أوباما كان عضوًا بالكونجرس رافضًا للحرب على العراق، فقد أصبح رودس من داعميه، وعندما احتاجت حملة أوباما إلى كاتب خطابات لديه إلمام بالسياسة الخارجية لينضم إلى فريق كتابة خطابات مكون من ثلاثة أشخاص، وجد رودس في ذلك فرصة له في ظل عمله لمدة خمس سنوات باحثًا في السياسة الخارجية.

بدأ بين رودس وهو في نهاية التاسعة والعشرين من عمره العمل بشكل تطوعي في حملة أوباما عام 2007 حيث كتب بعض بيانات الحملة مثل بيان عن الحرب في العراق، ومقال رأي عن أيرلندا، وتحرير بعض خطب أوباما.

## الفصل الثاني: سياسة أوباما الخارجية: الحديث إلى إيران، ومطاردة بن لادن في باكستان

أحد الأشياء التي جذبت رودس إلى أوباما هو الخطاب الذي ألقاه في تجمع مناهض للحرب في عام 2002 قبل الحرب في العراق حيث قال أوباما "أنا أعلم أنَّه حتى الحرب الناجحة ضد العراق ستتطلب احتلالًا أمريكيًّا لمدة غير محددة وبتكلفة غير محددة وبنتائج غير محددة. أعلم أنَّ غزو العراق دون مبرر واضح ودون دعم دولي قوي لن يؤدي إلا إلى تأجيج النيران في الشرق الأوسط، وسيدفع نحو الأسوأ في العالم العربي، وسيقوي دعاية تنظيم القاعدة ويوجد لها المبررات.... أنا لا أعارض كل الحروب، أنا أعارض الحروب الغبية".

وخلال حملة الترشيح للرئاسة داخل الحزب الديموقراطي بين أوباما وهيلاري كلينتون، سأل محاور أوباما عما إذا كان مستعدًا لعقد لقاء دون شروط مسبقة مع عدد من خصوم الولايات المتحدة مثل إيران وكوبا. أجاب أوباما: "سأفعل"، واعتبر أنَّ مقاربة عدم التحدث إلى البلاد الأخرى عقابًا لهم مجرد فكرة سخيفة. ولكن لم توافق كلينتون على كلامه، ووصفت موقف أوباما بأنَّه "غير مسؤول وساذج".

خلال الحملة الانتخابية ركزت رسالة أوباما على أنَّ هيلاري كلينتون اتخذت مواقف قريبة جدًّا من بوش لأنَّها صوتت لحرب العراق ولا يمكن الوثوق بها لإحداث تغيير، بينما ركزت رسالة كلينتون على أنَّ أوباما لا يتمتع بخبرة كافية ليصبح رئيسًا. وراهن أوباما على تشكيل تحالف داعم له من الأمريكيين السود والشباب.

[1] - عناوين الفصول ليست كما في الأصل، ووضعناها لتوضيح مضمون كل فقرة، وأوردت أبرز الفصول، وفي أحيان قليلة دمجنا فقرات في ذات الموضوع من فصلين مختلفين.

وقد ركز رودس في كتابته لخطاب أوباما الأول عن السياسة الخارجية خلال حملته الانتخابية على الانسحاب من العراق والتركيز على مكافحة تنظيم القاعدة، والوعد بمطاردة أسامة بن لادن في باكستان، وتبني استراتيجية لمكافحة الإرهاب تهدف لتقوية قدرات الدول الأخرى على ملاحقة الإرهابيين؛ وإغلاق معتقل جوانتانامو ووقف التعذيب، وتوسيع الدبلوماسية والمساعدات الخارجية، ومتابعة الدبلوماسية مع إيران بشأن برنامجها النووي.

انزعج أغلب مستشاري السياسة الخارجية لأوباما من دعوته لتبني الدبلوماسية مع إيران دون شروط مسبقة، واعتبروا أنَّه ارتكب خطأ فادحًا. فيما انتقد معارضو أوباما خطابه عن الإرهاب، واعتبروا أنَّ تعهده بتتبع بن لادن في باكستان بمثابة دعوة لغزو باكستان. وقد رد أوباما على منتقديه قائلًا "لن أتلقى محاضرة من قبل الأشخاص الذين صوتوا لأكبر خطأ في السياسة الخارجية من جيلي" في إشارة إلى حرب العراق.

أشرف دينيس ماكدونو على تنسيق السياسة الخارجية لحملة أوباما، وتولى لاحقًا منصب رئيس موظفي البيت الأبيض. فيما لعبت سامانثا باور دورًا كبيرًا في تشكيل السياسة الخارجية، وقد عملت صحفية في البلقان وفازت بجائزة بوليتزر عندما كانت في أوائل الثلاثينيات من عمرها عن كتاب تناول فشل أمريكا في منع الإبادة الجماعية، وقدمت للجيل الشاب من الليبراليين تنظيرات بديلة لآراء المحافظين الجدد التي هيمنت على المشهد بعد 11 سبتمبر، حيث دعمت التدخل الإنساني لحماية حقوق الإنسان لكنها عارضت الحرب في العراق.

ويذكر رودس أنَّ الانطباعات العامة خلال حملة أوباما دارت حول أنَّ كلينتون ستفوز لأنَّها تحظى بدعم نخب الحزب الديموقراطي بينما سيخسر أوباما لأنَّ الشباب لن يخرجوا للتصويت، ولن يحصل على أصوات السود لأنَّه ليس أسود بدرجة كافية. فيما أثار الجمهوريون شائعات تتهم أوباما بأنَّه مسلم، وكيني، ومتعاطف مع الإرهاب.

## الفصل الثالث: خطاب أوباما في برلين

خلال حملته للرئاسة زار أوباما أفغانستان والعراق وإسرائيل ودول أخرى، وألقى خطابًا في برلين أمام حشد من مائتي ألف شخص. وبحسب رودس فإنَّ الهدف من أي جهد للسياسة الخارجية في الحملة الانتخابية يدور حول طمأنة العسكريين المنتشرين بالخارج وقدامى المحاربين؛ والإيضاح للناخبين بطريقة غير مباشرة أنَّ المرشح قوي بما يكفي ليصبح القائد العام.

رسالة خطاب برلين الأساسية هي أنَّه بعد ثماني سنوات من حكم جورج بوش، على أمريكا إنهاء الحروب، وإعادة تنشيط الدبلوماسية، واستعادة مكانتها في جميع أنحاء العالم. وقد رفضت المستشارة أنجيلا ميركل طلبًا من حملة أوباما بإلقاء الخطاب عند بوابة براندنبورغ حيث دعا ريغان نظيره السوفيتي جورباتشوف لهدم جدار برلين، وتعللت ميركل بأنَّ المكان يجب أن يكون مخصصًا لرئيس يشغل المنصب بالفعل وليس مجرد مرشح رئاسي.

عقب إلقاء الخطاب ببرلين، انتقده عدد قليل من كتاب الأعمدة الصحفية بحجة عدم تضمنه رؤية واضحة بما فيه الكفاية للسياسة الخارجية، واعتبروه بمثابة فرصة ضائعة. ويوضح رودس أنَّه تلقى بعض رسائل البريد

الإلكتروني التي تشير إلى أنَّ السبب الرئيسي للانتقادات الموجهة للخطاب هو عدم مشاركته مراجعة أفكار الخطاب مع عدد كافٍ من الأشخاص. وقد قال له أحدهم: "لن يقول الناس أبدًا أي شيء لطيف عن خطاب لم يساهموا في صياغة أفكاره". ويضيف رودس أنَّ خطاب أوباما كشف أنَّه يمكن أن يقوم بدور زعيم العالم الحر، لكن نجاحه سيجعل شريحة كاملة من الأمريكيين أكثر غضبًا.

## الفصل الرابع: الرحلات الخارجية الأولى لأوباما

عقب فوز أوباما بترشيح الحزب، طُلب من مجموعة من العاملين في حملته ملء الاستمارات اللازمة للحصول على تصريح أمني مؤقت حتى يتمكنوا من الوصول إلى المعلومات السرية بمجرد انتهاء الانتخابات. ويقول رودس، كان علي أن أسرد كل مكان عشت فيه، ومن عملت من أجله، وكل من عشت معه، وكل دواء كنت أتناوله، وكل اتصال مع أجانب قمت به، وكل شيء يشتبه فيه قمت به منذ عشر سنوات.

وفي الليلة التي سبقت يوم الانتخابات، تلقى رودس مكالمة علم خلالها أنَّ تصريحه المؤقت قد رُفض بسبب تدخينه مخدر الماريجوانا سابقًا، وسيتعين قبل الحصول على التصريح أن يجري مكتب التحقيقات الفيدرالي تحقيقًا كاملًا عنه أولًا.

وبعد فوز أوباما بالانتخابات ظل رودس لفترة قصيرة ممنوعًا من الاطلاع على بعض المستندات ومن حضور بعض الاجتماعات ومن الدخول لبعض الأماكن، لكن بعد انتهاء تحقيق الإف بي أي حصل على التصريح.

يوضح رودس أنَّ في ظل تداعيات الأزمة الاقتصادية عام 2008، عمل أوباما بمبدأ "ابق خصومك السياسيين قريبين"، كما حرص على جلب الأشخاص الأكثر خبرة في مجال الأمن القومي لإدارته للتعامل مع ملفي حربي العراق وأفغانستان، فأبقى وزير الدفاع في عهد بوش روبرت جيتس في منصبه، وعين هيلاري كلينتون وزيرة للخارجية. فيما شغل رودس وظيفتين رسميتين في ذات الوقت، الأولى نائب مدير كتابة الخطب في البيت الأبيض، والثانية مدير أول لكتابة الخطابات في مجلس الأمن القومي، وهو ما جعل لديه مكتبان في مبنيين مختلفين.

عقب فوز أوباما بالرئاسة، كانت محطته الأولى الخارجية في لندن لحضور مجموعة العشرين التي تجمع قادة أكبر اقتصادات العالم، حيث اجتمعوا لتنسيق الاستجابة للأزمة المالية. ويقول رودس الحقيقة المحرجة هي إنَّنا كنا نطلب من البلدان الأخرى إنفاق الأموال لتحفيز الاقتصاد العالمي من أجل إصلاح الأزمة التي خلقتها الولايات المتحدة.

وقد أعرب أوباما عن بعض التواضع في مؤتمره الصحفي الختامي عندما سُئل عما إذا كان يؤمن بالاستثنائية الأمريكية، فقال: "أعتقد في الاستثنائية الأمريكية تمامًا كما أظن أنَّ البريطانيين يؤمنون بالاستثنائية البريطانية، ويؤمن اليونانيون بالاستثنائية اليونانية". لقد كان اقتباس أُستخدم على مدى السنوات الثمانية اللاحقة لتصوير أوباما على أنَّه أقل إيمانًا بأولوية أمريكا بين الدول.

في محطته التالية لحضور قمة الناتو في ستراسبورغ بفرنسا، وجد أوباما نفسه يطلب من الدول الأخرى بالحلف زيادة التزاماتها العسكرية في أفغانستان. ولم يرغب أي من القادة تقريبًا في القيام بذلك حيث أصبحت الحرب الأفغانية لا تحظى بشعبية على نحو متزايد. وبدا أنَّ إدارة أوباما تبدد شعبية أوباما لمعالجة الظروف التي ورثتها بدلًا من أن تكون قادرة على استثمارها في المبادرات الجديدة التي تصورتها. لقد قال أوباما لرودس "إنَّني أنفق كل رأسمالي السياسي فقط من أجل الحفاظ على سير الأمور".

وخلال السفر لتركيا للقاء أردوغان والحديث أمام مجلس النواب، اقترحت سامنثا باور التطرق لموضوع الإبادة الجماعية للأرمن عام 1915 فيما أراد بقية المستشارين تجنب ذلك والتركيز على الحاجة إلى التعاون مع تركيا، وقال أوباما "لا أعتقد أنَّني يجب أن أقف هناك وأتناول ذلك في برلمانهم".

## الفصل الخامس: السياسة الخارجية الأمريكية، ومدى تأثير الرئيس فيها

تحاول السفارة في نيودلهي مساعدة الشركات الأمريكية على دخول السوق الهندية، وتجتمع بعثة الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في نيروبي مع وزارة الصحة الكينية للمساعدة في مكافحة الإيدز. ويجري الجيش الأمريكي تدريبات مشتركة مع الكوريين الجنوبيين لردع كوريا الشمالية. ويتبادل مجتمع الاستخبارات معلومات حول مؤامرة إرهابية مع الأوروبيين. ويتم تسليم طائرة مقاتلة من طراز F-16 ممولة من قبل دافعي الضرائب للجيش المصري.

تتم هذه الإجراءات بناءً على الزخم الخاص بها المتجذر في مجموعة واسعة من عمليات الانتشار والتحالفات والاتفاقيات الدولية وقرارات الميزانية التي كان من الممكن اتخاذها قبل شهر أو عام أو عقود.

تمثل سياستنا الخارجية وجهة نظر معينة لمصالح الولايات المتحدة في الوقت الذي تم فيه اتخاذ قرارات معينة. وبالتالي، تخوض قواتنا حربًا على الإرهاب في أفغانستان في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ضد الجهاديين الذين سلحتهم الولايات المتحدة في ثمانينيات القرن الماضي وسبق أن أشادت بهم كمقاتلين في الخطوط الأمامية في الحرب على الشيوعية. تحاول دبلوماسيتنا التوسط في اتفاق سلام إسرائيلي فلسطيني بينما تمول مساعداتنا الخارجية الجيش الإسرائيلي الذي يحتل مساحة متزايدة من الأراضي الفلسطينية.

نحافظ على هذه الاستثمارات لأنَّنا بشكل عام نعتقد أنَّ العائد يستحق ذلك، حتى لو عانينا أحيانًا الخسائر والإحراج والتنازلات الأخلاقية. لقد مكنت شبكة تحالفاتنا العسكرية من نمو الديمقراطيات المزدهرة في أوروبا وآسيا وتجنب حرب عالمية أخرى بين القوى الكبرى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد سهلت مساعداتنا الخارجية واتفاقياتنا التجارية التحسينات السريعة في طريقة حياة الناس في أجزاء كثيرة من العالم بما في ذلك الولايات المتحدة.

تجعل أجهزتنا العسكرية والاستخباراتية من الصعب على الحكام المستبدين حيازة أسلحة نووية أو شبكات إرهابية تحتفظ بملاذات آمنة، حتى لو كانت أفعالنا تغذي أحيانًا المظالم التي يزدهر بها الطغاة والإرهابيون. لذلك يمثل سلوك السياسة الخارجية مزيجًا غريبًا من إدارة الظروف التي يرثها الرئيس الجديد، والاستجابة

للأزمات التي تحدث تحت إشرافك، وانتهاز الفرص لإطلاق المبادرات الجديدة التي ستترك بصمة على العالم.

كان أوباما فريدًا من نوعه، فهويته ستترك بصمة على الناس في الخارج بالإضافة إلى كونه الرئيس الأمريكي فقد كان رمزًا لتطلعات مليارات البشر خاصة الأقليات العرقية في العالم المتقدم والشباب في العالم النامي. ولهذا السبب خصصنا له وقتًا لإشراك السكان الذين لا يلتقون عادةً برئيس أمريكي حيث يلعبون كرة القدم في منطقة فافيلا في البرازيل، أو يلتقون بعرقية الداليت المنبوذة في الهند أو يزورون مركزًا للاجئين في ماليزيا. ولهذا السبب أنشأنا برامج لإشراك الشباب، لا سيما في المنطقتين الأكثر ارتباطًا بخلفية أوباما أي إفريقيا وجنوب شرق آسيا. وهذا أحد أسباب تركيزه كثيرًا على الكلمات التي يتحدث بها في الخارج. قال لي في وقت مبكر من السنة الأولى: "نحن نروي قصة حول من نحن". فأوباما وُلِد في هاواي، وهي مستعمرة أمريكية سابقة تستضيف أسطول أمريكا في المحيط الهادئ، وهو شخص مؤسسي يعتقد أنَّ التقدم يصبح أكثر استدامة إذا تم تبنيه بالقوانين والمؤسسات، وإذا لزم الأمر بالقوة.

بالنسبة لليساريين، فقد توقعوا أن يعادي أوباما دولة الأمن القومي في أمريكا. فقد كان لديه قلق عميق بشأن تجاوز الحدود، وكيف تؤثر سياساتنا على الناس في أماكن مثل إندونيسيا؛ الطريقة التي فشلنا بها من فيتنام إلى العراق، والنظر في عواقب أفعالنا؛ وأخطار السلطة التنفيذية غير الخاضعة للرقابة. لكن أوباما كان يؤمن بقوة كفؤة ومستقرة، وضرورة القيام بعمل عسكري ضد شبكات إرهابية معينة، ومزايا العولمة في انتشال الناس من الفقر، وضرورة الولايات المتحدة في النظام الدولي. لقد أراد إعادة توجيه مسار السياسة الخارجية الأمريكية، وليس إغراقها.

وبالنسبة للكثيرين في الحكومة، فإنَّ نظرة الرئيس للعالم لا تهم حقًّا. فلكل وكالة مصالحها الخاصة التي لا تتغير مع تغير الرئيس. فالجيش يريد المزيد من حرية العمل. وتريد وزارة الخارجية الحفاظ على العلاقات والترتيبات القائمة. ويريد مجتمع الاستخبارات المزيد من القدرات. الكل يريد المزيد - المزيد من المال والمزيد من الموظفين والمزيد من الدعم من البيت الأبيض. عادة يضغط الرئيس لتطبيق أجندته من خلال قيادة هذه المؤسسات لكن آراءه لا تعكس بالضرورة آراء الحكومة الأمريكية.

ومع ذلك، فقد تولى أوباما منصبه دون مجموعة علاقات ثابتة مع نوعية الأشخاص الذين يشغلون هذه الوظائف، لأنَّه عمل في واشنطن لمدة أربع سنوات فقط. معظم الأشخاص الذين شغلوا المناصب العليا في وزارة خارجية أوباما أو البنتاغون كانوا أشخاصًا لم يلتقِ بهم في الواقع.

في السنة الأولى لأوباما، كنت ضمن دائرة أصغر من مساعدي البيت الأبيض الذين يعرفون الرئيس، واستوعبوا رؤيته للعالم، ولم تكن لدي أي مصلحة شخصية أو مؤسسية بخلاف مساعدته في توضيح سياسته الخارجية. ولأنَّه كان يقضي معظم وقته في محاولة إنقاذ الاقتصاد، فقد لجأ إلى الخطابات كوسيلة لإعادة توجيه السياسة الخارجية الأمريكية، ولإيصال اتجاه جديد ليس فقط للشعب الأمريكي والجماهير في الخارج، ولكن لحكومته. وبسبب اهتمامه بالكلمات أصبحت جسرًا بين خطاباته وأفعاله. وقد وُضع تقليد يختص بمراجعة مجتمع الاستخبارات لمسودات الخطابات بعد أن بالغ جورج دبليو بوش في الحديث عن جهود صدام حسين للحصول على مواد نووية في خطابه عن حالة الاتحاد عام 2003.

## خطاب جامعة القاهرة

سافرنا للسعودية، وذهبنا إلى أحد المجمعات العديدة التي يملكها الملك عبد الله. وعندما فتحت باب غرفتي وجدت حقيبة كبيرة بها مجوهرات، وظننت أنَّ هذه الهدية ربما تمثل نوعًا من الرشوة حتى سمعت من الآخرين أنَّهم تسلموا نفس الحقيبة. لكن لا يُسمح لي بالاحتفاظ بهذه الهدايا إلا إذا كنت على استعداد لتسديد تكلفتها التي تبلغ عشرات الآلاف من الدولارات.

التقى أوباما بالملك عبد الله، وخرج غاضبًا من نتيجة اللقاء، فالسعوديون خذلوه، ورفضوا أخذ معتقلي غوانتنامو، وتراجعوا عن التوجه نحو السلام مع إسرائيل، ثم توجهنا للقاهرة.

فكرة مخاطبة العالم الإسلامي خلال أول مئة يوم من تولي أوباما المنصب استحوذت على تفكيره منذ أن طرحها في خطاب خلال حملته الانتخابية عام 2007 بهدف تغيير صورة أمريكا في الخارج. فالمسلمون لديهم أماني كبيرة من رئيس أمريكي يدعى باراك حسين أوباما ولديه أقارب مسلمين.

بعد التنصيب، دار بعض الجدل حول ما إذا كان ينبغي إلقاء الخطاب على الإطلاق - فقد كان هناك ما يكفي للقيام به دون أن يسافر أوباما إلى مكان ما للتحدث إلى أتباع دين عالمي ينظر إليه معظم الأمريكيين بريبة.

لكن الترقب حول الخطاب من المسلمين ووسائل الإعلام، رفع تكلفة الابتعاد عن الفكرة، وانتهى بنا الأمر بتقديم خيارين لأوباما حيث يمكنه إلقاء الخطاب: جاكرتا، المكان الذي عاش فيه طفلًا، مما سيتيح له الحديث عن نوع أكثر تسامحًا من الإسلام أو القاهرة التي أصبحت مركز منطقة تصدر الكثير من التطرف وعدم الاستقرار في العقود الأخيرة.

كانت جاكرتا هي الخيار الأكثر أمانًا بعيدًا عن الحروب والصراعات والحكام المستبدين في الشرق الأوسط، وهذا هو بالضبط سبب اختيار أوباما للقاهرة حيث قال لنا "لنكن صادقين المشكلات موجودة في العالم العربي وليست في إندونيسيا".

ركزت الكثير من النصائح الخاصة بمضمون الخطاب على الأخطاء التي ارتكبتها الولايات المتحدة حيث جعلت "الحرب العالمية على الإرهاب" العديد من المسلمين يعتقدون أنَّ كل ما نهتم به هو الإرهاب، وأنَّنا نعتبرهم جميعًا إرهابيين محتملين. وأخبرني أحد الزملاء المسلمين أنَّ عبارة "الإسلام الراديكالي" يعتبرها العديد من المسلمين توصيفًا للإسلام نفسه وليس لفصيل بداخله. وقد أظهر استطلاع للرأي أنَّ ما يهتم به معظم المسلمين في الواقع هو الفقر والفساد والبطالة، وإذا سألتهم عما يريدون العمل مع أمريكا عليه، فإنَّ الإجابات ستركز على التعليم وريادة الأعمال والعلوم والتكنولوجيا، وإذا سألتهم ما الذي تركز عليه سياسة الولايات المتحدة، سيجيبون النفط وإسرائيل وإضعاف العالم الإسلامي.

ناقشت مضامين الخطاب المقترحة مع أوباما، وتطرقت إلى الديمقراطية. أشرت إلى أنَّ التحدي لم يكن مجرد حساسية معالجة القضية في بلد قمعي، فالحقيقة أنَّه إذا كانت هناك انتخابات حقيقية في مصر فمن المحتمل أن يفوز الإخوان المسلمون، بينما تميل أمريكا إلى التعبير عن دعمها لنشطاء ديمقراطيين سيحصلون على نسبة صغيرة فقط من الأصوات مما جعلنا أقل مصداقية. فقال أوباما: يجب على الولايات

المتحدة أن ترحب بشرعية جميع الحركات السياسية، حتى تلك التي نختلف معها، لكننا سنحكم أيضًا على أي حركة سياسية من خلال ما إذا كانت تختار التصرف والحكم بطريقة متسقة مع المبادئ الديمقراطية.

نظرًا للمكانة البارزة للخطاب في القاهرة، فقد كتب أوباما رسالة سرية إلى المرشد الأعلى لإيران تشير إلى انفتاحه على الحوار حول البرنامج النووي. ردًّا على ذلك، تلقينا رسالة سرية من المرشد تتضمن قائمة طويلة بالجرائم التي يقول إنَّ الولايات المتحدة ارتكبتها، ولا سيما دورها في الانقلاب الذي أطاح بالحكومة الإيرانية في الخمسينيات وإعادة حكم الشاه القمعي، وأشارت الرسالة إلى أنَّه يجب التعامل مع العلاقات بين الدول بشجاعة واستقامة وتصميم.

وقد حاولنا في خطاب أوباما بالقاهرة رسم نغمة جديدة للحوار فخلال الحديث عن الحرب الباردة، قال أوباما "لعبت الولايات المتحدة دورًا في الإطاحة بحكومة إيرانية منتخبة ديمقراطيًّا، ومنذ الثورة الإسلامية لعبت إيران دورًا في عمليات احتجاز الرهائن وأعمال العنف ضد القوات والمدنيين الأمريكيين، هذا التاريخ معروف، وبدلًا من البقاء محاصرين في الماضي، أوضحت لقادة إيران وشعبها أنَّ بلدي مستعد للمضي قدمًا". ولإرسال رسالة إلى أولئك الذين يراقبون الخطاب بعناية في إيران، أدخلنا كلمات المرشد الأعلى في الخطاب حيث قال أوباما: "سيكون من الصعب التغلب على عقود من انعدام الثقة، لكننا سنمضي بشجاعة واستقامة وتصميم".

وفيما يخص الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، فقد نصح عدد من المستشارين بعدم التركيز على تبني خطة سلام لتجنب التأكيد على صحة الرأي القائل بإنَّ جميع المشكلات في الشرق الأوسط متجذرة في الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، ورأوا أنَّه من الصعب -إن لم يكن من المستحيل- بالنسبة لحكومة يسار الوسط في الولايات المتحدة أن تصنع السلام مع حكومة يمين الوسط في إسرائيل. وبدلًا من طرح خطة سلام، وافق أوباما على توصية تدعو إلى وقف بناء المستوطنات الإسرائيلية.

مع اقتراب موعد الخطاب، ازدادت حدة الضغط، وطُلب مني الجلوس مع لي روزنبرغ أحد قادة إيباك، والذي كان يجمع تبرعات لحملة أوباما. فقد أراد التأكد من أنَّنا لم نفتح أرضية جديدة في دعمنا للفلسطينيين، أو سنشير إلى أنَّ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو أصل المشكلات في الشرق الأوسط، ثم ناشدني أن أدعو العالم الإسلامي إلى الاعتراف بإسرائيل "كدولة يهودية". كان هذا موقفًا رسميًّا لم تتخذه الولايات المتحدة بعد؛ لأنَّه سيكون إشارة إلى أنَّ ملايين اللاجئين الفلسطينيين لن يكون لهم الحق في العودة كجزء من اتفاقية سلام. أكدت له أنَّنا لن نفتح أرضية جديدة في دعمنا للفلسطينيين. ولقد كان الإسرائيليون إلى حد بعيد الطرف الأقوى في الصراع، لكننا كنا نتصرف كما لو كان العكس.

كان النقاش الأخير هو ما إذا كان ينبغي لأوباما السفر إلى إسرائيل بعد ذهابه إلى القاهرة. فنظرًا للقلق من عدم الرغبة في رؤية الخطاب فقط من منظور الصراع العربي الإسرائيلي، قررنا عدم الذهاب. ومن المفارقات، أنَّنا سنتعرض لانتقادات من قبل أنصار نتنياهو على مدى سنوات لهذا القرار رغم أنَّه جاء استجابة لمخاوفهم. وقد صُور أوباما على أنَّه غير مؤيد لإسرائيل بشكل كاف، وتجاهلوا حقيقة أنَّه لم يفعل شيئًا ملموسًا للفلسطينيين.

ركز أوباما في خطابه على أنَّ الدول تنجح عندما تتسامح مع المعتقدات الدينية المختلفة؛ وأنَّ الحكومات التي تمنح صوتًا لشعوبها وتحترم سيادة القانون تصبح أكثر استقرارًا وإرضاءً؛ وأنَّ البلدان التي تُمكن المرأة تصبح أكثر نجاحًا.

بمجرد أن افتتح أوباما الخطاب بقوله "السلام عليكم"، انطلق الجمهور في هتافات. كنا قد اخترنا حشدًا من النشطاء العلمانيين والمثقفين والقادة السياسيين ورجال الدين ونشطاء حقوق المرأة وأعضاء من جماعة الإخوان المسلمين. وهتف كل منهم لأجزاء الخطاب التي أعجبتهم - رجال الدين صفقوا لدفاع أوباما عن حق المرأة في ارتداء الحجاب في الولايات المتحدة، وهتف الناشطون "نحبك" عندما تحدث عن الديمقراطية، وهتفت النساء عندما تحدث عن مجتمع بحاجة إلى إطلاق العنان لإمكانات فتياته.

عندما سافرنا للقاهرة، وقفت عناصر قوات الأمن المصرية في طريق الوصول من المطار وظهور أفرادها إلى الموكب، ولم يكن هناك أشخاص في الشوارع في واحدة من أكثر المدن ازدحامًا في العالم حيث صدرت أوامر للآلاف من الأفراد الذين يرتدون الزي العسكري بالابتعاد عن السيارات، والنظر من بعيد، والبحث عن أي شخص قد يشكل تهديدًا. وبعد انتهاء الخطاب، انتقلنا بطائرة هليكوبتر إلى الأهرامات، وقمنا بجولة خاصة في المعالم الأثرية القديمة التي تنتشر في الصحراء على مشارف امتداد القاهرة. لم يكن هناك أشخاص آخرون في الأفق. لقد حدد مبارك محيطًا أمنيًّا واسعًا، وهي لفتة تتحدث عن سلطته، وبدا المشهد كأن زعيمًا استبداديًّا دعا راعيه الأمريكي للقيام بجولة في مقابر أسلافه المستبدين الذين ماتوا منذ زمن طويل.

## الفصل السادس: حرب أوباما في أفغانستان

عندما تولى أوباما منصبه، كنا في حالة حرب في أفغانستان لمدة سبع سنوات - أطول من مشاركتنا في الثورة ضد بريطانيا أو الحرب الأهلية أو الحربين العالميتين الأولى والثانية. ومع ذلك، ولأنَّ أوباما دعم الحرب في أفغانستان ودعا خلال حملته الانتخابية إلى إرسال "لواءين قتاليين إضافيين"، بدأت وسائل الإعلام في تسمية أفغانستان بـ "حرب أوباما" بعد فترة وجيزة من توليه الرئاسة.

خلال سنة أوباما الأولى في المنصب، طلب القائد العسكري في أفغانستان الجنرال ديفيد ماكيرنان، أكثر من عشرة آلاف جندي إضافي من أجل إضعاف الزخم المتزايد لتمرد طالبان، وهو الطلب الذي تركته إدارة بوش لأوباما من أجل تنفيذه. وافق أوباما على طلب ماكيرنان في فبراير وفاء بوعود حملته الانتخابية. كما أمر بمراجعة أولية لسياستنا، مما أدى إلى إعلان 27 مارس الذي أكد على ضرورة التعامل مع أفغانستان وباكستان وفق استراتيجية مشتركة حتى نتمكن من اجتثاث ملاذات الإرهابيين على الجانب الباكستاني من الحدود.

بالنسبة لأوباما يكمن فشل حرب العراق في قرار الغزو في المقام الأول. بالنسبة لبعض مؤيدي الحرب، أظهرت نتائج استراتيجية مكافحة التمرد التي تضمنت وضع المزيد من القوات الأمريكية في القتال لتأمين السكان العراقيين أنَّ المشكلة في العراق تكمن في استراتيجية خوض الحرب، وليس الحرب نفسها. ولكن في حين أنَّ عدم الرضا عن الحرب في العراق سمح لأوباما بأن يصبح رئيسًا، فخلال عامه الأول في منصبه تشكلت سياستنا تجاه أفغانستان إلى حد كبير من قبل الأشخاص الذين تبنوا ضرورة مكافحة التمرد.

في 21 سبتمبر 2009، استيقظت على قصة لبوب وودوارد في واشنطن بوست بدأت بقوله "يحذر القائد الأعلى للولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في أفغانستان في تقييم سري عاجل للحرب من أنَّه يحتاج إلى المزيد من القوات خلال العام المقبل، وينص على أنَّه دون زيادة القوات فإنَّ الصراع الذي دام ثماني سنوات سينتج عنه على الأرجح الفشل، وفقًا لنسخة من الوثيقة المكونة من 66 صفحة حصلت عليها صحيفة واشنطن بوست". كشفت سلسلة من التسريبات الأخرى أنَّ ماكريستال يسعى للحصول على ما بين أربعين ألف وثمانين ألف جندي أمريكي إضافي. كلنا في البيت الأبيض بمن فيهم أوباما، قرأنا عن هذه الأمور في الصحيفة قبل أن تصل التوصيات إلى مكتبه. لقد تم إعداد المسرح لدراما واشنطن: هل سيتراجع الرئيس الشاب المناهض للحرب أم سيخالف نصيحة هؤلاء المستشارين الحكماء وذوي الخبرة؟

بعد أسبوع من تسريب تقرير ماكريستال إلى صحيفة واشنطن بوست، رُقيت رسميًّا إلى نائب مستشار الأمن القومي للاتصالات الاستراتيجية وكتابة الخطابات -وهو لقب طويل سخيف احتفظت به حتى نهاية رئاسة أوباما، وبذلك أصبحت مسؤولًا عن الاتصالات المتعلقة بالأمن القومي- إعداد أوباما لمؤتمراته ومقابلاته الصحفية، والتنسيق مع وروبرت جيبس لإحاطاته الصحفية، وأدرت فريقًا من عشرة أشخاص في مجلس الأمن القومي، وتوليت التنسيق بين المتحدثين باسم الخارجية والدفاع والوكالات الأخرى، وأصبحت مسؤولًا أيضًا عن تواصل الولايات المتحدة مع الجماهير الأجنبية من قبيل برامج التبادل وعمليات المعلومات. وكان طلبي الوحيد هو الاستمرار في كتابة خطابات الأمن القومي الرئيسية، وعينت معي كاتبًا آخر لخطابات الأمن القومي هو تيري زوبلات.

## الفصل السابع: استراتيجية أوباما في أفغانستان

أراد أوباما أن يُظهر لحكومته كيف يشرع في اتخاذ القرارات، لذلك احتجنا إلى فهم ما يحدث في أفغانستان وباكستان، وتحديد مصالحنا، واختبار الموارد اللازمة، وموازنة تلك الاحتياجات مقابل جميع أولوياتنا الأخرى في الداخل وحول العالم، ومن ثم اتخاذ قرار.

لم يكن أوباما ضد إرسال المزيد من القوات، لكنه أراد التأكد من أنَّنا لم نحدد مهمتهم بعبارات فضفاضة للغاية. كان يجلس يدون ملاحظاته الخاصة بينما يتحدث مديرون مختلفون ثم يقدم رأيه في نهاية الاجتماع. وبتفاصيل دقيقة، عمل على إنشاء عدد قليل من خطوط العمل:

- القاعدة وطالبان متحالفان، ولكنهما مختلفان، فالقاعدة جماعة إرهابية تحاول مهاجمة الولايات المتحدة، وطالبان فاعل سياسي محلي داخل أفغانستان.
- لا يمكن هزيمة طالبان ما دام لديها دعم سياسي في أفغانستان وملاذ آمن في باكستان.
- لن تتخلى باكستان عن دعمها لجماعات مثل طالبان ما دام أنَّ همها الأساسي هو وجود وكلاء ضد الهند المجاورة.

كان من الواضح أنَّه يريد التركيز على هزيمة القاعدة، وليس على إعادة تشكيل أفغانستان، وهذا بدوره يعني عددًا أقل من القوات لفترة زمنية أقصر. بالنسبة لي، أصبحت في وظيفتي الجديدة أشارك في الاجتماعات المغلقة، وأصبحت مسؤولًا عن تشكيل وجهة النظر العامة لما يجري فيها.

في اجتماع بعد اجتماع، بدا أنَّ القادة يعايرون حججهم لتتماشى مع وجهات نظر أوباما دون تغيير لموقفهم من زيادة القوات. جادل وزير الدفاع غيتس بأنَّه لم يكن مع تبني استراتيجية لمكافحة الإرهاب أو استراتيجية لمكافحة التمرد إنما مع شيء ما بينهما، شيء يعزز حكومة قوية وفعالة تقدم الخدمات للناس، وعندما جرت الإشارة إلى أوجه القصور في الحكومة الأفغانية، قال جيتس إنَّه لا ينبغي أن نعطي دولارًا واحدًا أو جنديًّا واحدًا لحكومة فاسدة على الرغم من أنَّ هذا هو بالضبط ما كنا نفعله.

وقال بترايوس إنَّ هدفنا ليس هزيمة طالبان، بل حرمان عناصرها من الاحتماء بين التجمعات السكانية، وتحدث رئيس الأركان مولين عن الحاجة إلى خلق انطباع بأنَّ طالبان تخسر. للسبب نفسه، قالت كلينتون إنَّ إرسال القوات لن ينجح في تغيير الوضع لكن لا نزال بحاجة إلى إرسال قوات. بدا الأمر وكأننا خلقنا ضغطًا سياسيًّا على أنفسنا لإرسال قوات استنادًا إلى نظرية مكافحة التمرد، بينما ترجح المراجعة أنَّ مكافحة التمرد لا يمكن أن تنجح؛ لكن كل الحجج ما زالت تشير إلى إرسال نفس العدد من القوات.

وقدر قائد القوات الأمريكية في أفغانستان ماكريستال أنَّنا سنحتاج إلى قوة كبيرة لمدة أربع سنوات حتى تتمكن قوات الأمن الأفغانية من تولي زمام المبادرة. بينما جادل السفير إيكنبري بأنَّ الحكومة الأفغانية لن تعمل بجد أبدًا إذا شعرت أنَّنا سنبقى إلى الأبد. وفي النهاية، قرر أوباما إرسال ثلاثين ألف جندي أمريكي إلى أفغانستان، ووصلوا بعد دعم قدمه حلف الناتو بعشرة آلاف إلى أربعين ألف جندي. أعلنا ذلك على أنَّه زيادة مؤقتة، ثم في غضون ثمانية عشر شهرًا ستبدأ القوات في الانسحاب.

في الأيام التالية، دأب أوباما على استبعاد أي لغة تتحدث عن الفوز أو النصر، وأشاد بالقوات دون مبالغة في الوعود. وقال لي: "علينا أن نمجد خدمتهم، لكن لا ينبغي أن نمجد الحرب". وفي مارس 2010، زار أوباما أفغانستان لأول مرة كرئيس حيث سافر سرًّا، وخلال الهبوط أُغلقت جميع الأضواء في طائرة الرئاسة لتجنب استهدافها من قبل طالبان.

بعد فترة نشرت مجلة رولينج ستون تقريرًا يصور الجنرال ماكريستال وفريقه على أنَّهم نادٍ للأولاد خارج نطاق السيطرة، تحدث ماكريستال بوقاحة عن كل من يشارك في سياسة أفغانستان، قال هل تسأل عن نائب الرئيس بايدن؟ من هذا؟"، وتحدث عن هولبروك قائلًا ("أوه، بريد إلكتروني آخر من هولبروك.. لا أريد حتى فتحه)، وقد أشعلت تصريحاته عاصفة نارية، وقرر أوباما استدعاءه لأمريكا، وطلب مني كتابة خطابين أحدهما قرر فيه إبقاء ماكريستال من أجل استمرارية العمل، والآخر قرر فيه فصله من العمل لفرض مبدأ السيطرة المدنية على الجيش. ولاحقًا استدعى أوباما بعض فريقه إلى المكتب البيضاوي، وقال إنَّه كان مترددًا في إقالة ماكريستال، لكنه لن يكون قادرًا على ممارسة سيطرة مدنية على الجيش إذا لم يفعل ذلك.

وبعد عام أعلن أوباما بدء سحب القوات الأمريكية من أفغانستان في الموعد المحدد. وبعد سنوات، قال وزير الدفاع غيتس إنَّ استراتيجية أوباما كانت صحيحة، لكنه لم يكن ملتزمًا بما فيه الكفاية بالمهمة، وهي طريقة ملائمة لجيتس ليقول إنَّه كان على حق، وأي مشكلات في أفغانستان تسبب بها أوباما.

## الفصل الثامن: هدوء ما قبل الربيع العربي

قدم مجتمع الاستخبارات لأوباما يوميًّا ملخصات من صفحة واحدة أو صفحتين لموضوعات رئيسية أو تطورات مهمة. عادة، قدموا أي شيء سيء حول العالم يستحق اهتمامه: الإرهاب، اتجاه مقلق في الشرق الأوسط، تطور جديد مع الصين أو روسيا. لطالما شعرت بالدهشة من استبعاد الاتجاهات العالمية الكبيرة مثل المناخ، والحوكمة، والغذاء، والصحة لصالح مستوى معقد من التفاصيل حول المؤامرات الإرهابية. فبعد الحادي عشر من سبتمبر، أصبح مجتمع الاستخبارات على وشك السماح لأي رئيس بمعرفة أي شيء تعرفه الاستخبارات عن مؤامرة محتملة، حتى لو كان هناك القليل مما يمكنه فعله حيال ذلك.

وفي غياب الأزمات الدولية طوال عام 2010، ركزت اجتماعات فريق مجلس الأمن القومي بشكل كبير على التقدم المنهجي في بعض القضايا مثل تنفيذ استراتيجية أفغانستان، وسحب القوات من العراق، والتفاوض على معاهدة جديدة للحد من الأسلحة مع روسيا، وفرض عقوبات على إيران. لكن سرعان ما انتهى العمل الروتيني مع بداية عام 2011.

### عواصف الربيع العربي 2011-2012

في 11 يناير فر زين العابدين بن علي الديكتاتور الذي حكم تونس لعقود. وبدأ الناس في القاهرة بتقليد تونس. وعلى الرغم من هذه الهزات، لم يعتقد مجتمع الاستخبارات في البداية أنَّ الاحتجاجات قد تطيح بحكومات أخرى. كان رجال مثل مبارك وبشار الأسد في سوريا راسخين للغاية وقادرين على الاعتماد على ولاء الأجهزة الأمنية ودعم القوى الأجنبية. في حالة مصر، كانت تلك القوة هي الولايات المتحدة التي قدمت عقودًا من المساعدة العسكرية في أعقاب اتفاقيات كامب ديفيد وأقامت علاقات عميقة بين الدولة المصرية ومؤسسة الأمن القومي الأمريكية.

كنت جزءًا من مجموعة من الموظفين الشباب في الحكومة الأمريكية الذين نفروا من الطريقة الفاسدة التي يُحكم بها الشرق الأوسط، وكنا أكثر ثقة في انتشار الاحتجاجات من كبار الموظفين.

وفي هذه الأثناء، كانت هناك مجموعة من المستشارين تضغط من أجل تقديم مزيد من الدعم للمتظاهرين في جميع أنحاء المنطقة: جايل سميث بمجلس الأمن القومي، ومايك ماكفول كبير مديري مجلس الأمن القومي في شؤون روسيا، وسامانثا باور. مصر هي التالية كما يقولون، وستكون بمثابة اختبار لما إذا كنا سنقف إلى جانب الناس في الشوارع أو المستبدين الذين يحاولون قمعهم.

ركزت مكالمة أوباما في منتصف يناير مع مبارك على السلام في الشرق الأوسط، لكنه استخدمها لمناقشة الاحتجاجات في تونس. فقال أوباما: نعتقد أنَّه من الأفضل ألا يعود بن علي إلى تونس، ونأمل أن تجري الحكومة التونسية انتخابات حرة ونزيهة في المستقبل. فأجاب مبارك بثقة أعتقد أنَّه لن يتمكن من العودة مرة أخرى، لن تنجح ما لم يكن الناس يريدونك، لقد قلت نفس الشيء للقذافي.

في الأيام التي تلت ذلك، عرض كل تلفزيون في الجناح الغربي بالبيت الأبيض صورًا صامتة للاحتجاجات، شبانًا يجرون في الشوارع؛ وحشودًا جماهيرية في ميدان التحرير، أشخاصًا في نفس عمري يهتفون معًا ثم تفرقهم نفس قوات الأمن التي حرست طريق موكبنا في القاهرة.

أصرت هيلاري كلينتون على أنَّ الحكومة المصرية مستقرة، وقال بايدن في لقاء إعلامي إنَّ مبارك لم يكن ديكتاتورًا. أصدرنا دعوات على استحياء للحكومة للتحلي بضبط النفس في مواجهة الاحتجاجات. لقد كنا نقف ضمنيًّا إلى جانب الديكتاتور في البلد الذي تحدث فيه أوباما عن مدى توافق الديمقراطية مع الإسلام والعالم العربي.

في السر، قال أوباما إنَّه متعاطف مع الجماهير. أخبر أوباما ماكفول أنَّه إذا كان الأمر متروكًا له، فإنَّه يفضل أن يدير "رجل جوجل" مصر، في إشارة إلى وائل غنيم الناشط البارز الذي ساعد في قيادة حركة الاحتجاج. لم يقصد ذلك حرفيًّا إنما كان يشير إلى تضامنه مع المتظاهرين الشباب الذين يحاولون إحداث التغيير. لكن فريقه الكبير كان في مكان مختلف، لقد فضل جيتس وجيشنا الاستقرار في مصر، وشعروا أنَّ الاستقرار جاء مع مبارك.

كانت لعائلة كلينتون علاقة طويلة الأمد مع مبارك تعود إلى عملية السلام في الشرق الأوسط في سنوات رئاسة بيل كلينتون، وكان مجتمع الاستخبارات حذرًا من استغلال المتطرفين للاضطرابات.

بدا أنَّ الدافع الرئيسي لاختلاف الآراء هو فارق الأجيال، مع ضغط الموظفين الشباب من أجل التغيير لم يعد مبارك يمثل الاستقرار، كنا نقول إنَّ ديكتاتوريته مصدر عدم الاستقرار، وهذه فرصة تحدث مرة واحدة في كل جيل لتحقيق إصلاح ذي مغزى في العالم العربي. كانت لدينا مسؤولية أخلاقية بأن نكون في الجانب الصحيح من التاريخ. ستكون خيانة لما دافع عنه أوباما إذا لم نكن كذلك.

وضح هذا الانقسام بشكل صارخ بالنسبة لي عندما ألقى أوباما بيانه الأول بشأن مصر في الثامن والعشرين من يناير. فقد بدت مصر على حافة الهاوية بين قمع وحشي ونوع من التغيير الجذري. البيان الذي صغته تحدث عن الحقوق العالمية للمتظاهرين ودعا الحكومة إلى احترام هذه الحقوق والامتناع عن العنف واتباع طريق التغيير السياسي. طلب مني توم دونيلون ودينيس ماكدونو أن أعطي نسخة لكل مدير وكالة. أدت عمليات التحرير التي أجروها إلى حذف كل هذه المضامين تقريبًا. وأوضحت التعديلات مقاومة التغيير بشكل صارخ لدرجة أنَّني احتفظت بها في مكتبي للسنوات الست التالية: لقد تمت إزالة كل كلمة عن حقوق الإنسان ومظالم المتظاهرين، وكل ما تبقى هو دعوات موجهة للمتظاهرين بالسلمية، وعبارات تأييد للحكومة المصرية. انتهى الأمر بأوباما باستخدام المسودة التي كتبتها مع تعديلات طفيفة للغاية.

كان إيقاع تلك الأيام مختلفًا عن أي شيء جربته من قبل، كنت أحصل على إحاطتي الإعلامية التي تهيمن عليها قصص الاضطرابات في مصر والدول المحيطة ثم أحضر اجتماعًا ثابتًا يضم ثمانية وثلاثين شخصًا لمراجعة ما يحدث. وذات يوم، أظهرت شاشة التلفزيون الكبيرة المركبة حمقى من أتباع الحكومة المصرية على ظهور الخيل مع المناجل يحاولون إخلاء ميدان التحرير، فكيف من المفترض أن نصف ذلك "ضبط النفس" بحق الجحيم.

تلقى قادة جيشنا وكبار دبلوماسيينا مكالمات من مسؤولين مصريين يعبرون عن غضبهم من تخلي أوباما عنهم، وتبنى روبرت جيتس وهيلاري كلينتون ومايك مولن وجهة نظر الحكومة المصرية بأنَّ الاحتجاجات ستخمد، وأنَّ الأمور يمكن أن تتجه إلى حوار وطني، وأنَّ سياستنا يجب أن تهدف للعودة إلى الوضع

الراهن، ودُعم هذا النهج بقوة من قبل دول الخليج لا سيما حكام السعودية والإمارات الذين خشوا من أن يأتي هذا النوع من الاضطرابات إلى عواصمهم.

في 29 يناير، تلقى أوباما مكالمة هاتفية من الملك عبد الله ملك السعودية الذي وصف المتظاهرين في الشارع بأنَّهم ليسوا أكثر من الإخوان المسلمين، وحزب الله والقاعدة وحماس. كانت هذه وجهة نظرهم حول من يتظاهر في مصر: إنَّهم الإرهابيون، لكن هذا ليس ما يراه بقيتنا بأعيننا، لم يكن المتظاهرون إسلاميين فقط، بل من بينهم نشطاء علمانيين وشباب ومسيحيين أقباط.

طلب مني أوباما أن أعبر عن رأيي في اجتماعات الإدارة، وقال لي "أريدك أن ترفع صوتك... لا تتراجع أمامهم لمجرد أنَّهم كبار المديرين..... نحن أصغر سنًّا". وفي أحد الاجتماعات، برز اتفاق واسع على دعوة قادة الدول العربية الرئيسية إلى واشنطن في أقرب وقت ممكن لطمأنتهم تجاه استمرار دعمنا، ولم أتمكن من تمالك نفسي، وقلت "ربما نفعل ذلك إذا كنا سنقضي على كل هؤلاء الحكام المستبدين الفاسدين، يمكننا التفكير في دعوة بعض الشباب أيضًا ... لتحقيق التوازن"، واكتسبت بذلك عداوات.

وصلت الأمور إلى ذروتها في غرفة العمليات في 1 فبراير، خلال اجتماع لمناقشة ما إذا كان ينبغي أن ننصح مبارك بالتنحي، أوصى جيتس وكلينتون وآخرون بأن نقف إلى جانب مبارك، بعد قليل ظهر مبارك على شاشة التلفزيون لمخاطبة الشعب المصري، أوقفنا الاجتماع وشغلنا أجهزة التلفزيون، جلسنا جميعًا في صمت نشاهد مبارك يقف على منبر بجانب علم مصر ليعلن أنَّه لن يترشح لولاية أخرى كرئيس، وتعهد بإنهاء ولايته الحالية محذرًا من الاختيار بين "الفوضى والاستقرار"، كما وعد بالموت على التراب المصري. عندما انتهى الخطاب قال أوباما: "هذا لن يوقف المظاهرات.. هؤلاء الناس لن يعودوا إلى ديارهم"، وأنهى النقاش فعليًّا بالقول إنَّه سيتصل بمبارك ويخبره بأنَّه بحاجة إلى التنحي.

اتصل أوباما بمبارك في مكالمته الأخيرة، وقال له (أريد أن أشاركك تقييمي الصادق حول ما أعتقد أنَّه سيحقق أهدافكم.. أقول هذا مع احترام كبير.. أنا فخور للغاية بصداقتي معك... أعتقد أنَّه إذا استمرت عملية الانتقال لعدة أشهر واستمريت في منصبك، فإنَّ الاحتجاجات ستستمر.. وستجعل السيطرة على الوضع أكثر صعوبة، وأعتقد أنَّ دورك ودور الجيش سيكونان أكثر صعوبة... أعتقد الآن أنَّ الوقت قد حان لكي تتحرك في الوقت المناسب لعدم السماح للإخوان المسلمين باستغلال الوضع) رد مبارك (أنت لا تفهم ثقافة الشعب المصري...إنَّ مصر ليست تونس.. هذه الاحتجاجات ستنتهي قريبًا) استمرت المحادثة على هذا النحو ذهابًا وإيابًا لمدة عشر دقائق أخرى، وختمها أوباما بقوله (سيدي الرئيس.. لقد كنت تعمل في السياسة لفترة طويلة جدًّا... هناك لحظات في التاريخ لمجرد أنَّ الأمور كانت على حالها في الماضي لا يعني هذا أنَّها ستكون بنفس الوضع في المستقبل). وجهزنا بيانًا دعا خلاله أوباما مبارك إلى نقل سلمي منظم للسلطة يجب أن يبدأ الآن. في اليوم التالي، عندما سُئل المتحدث باسم البيت الأبيض عما كان يعنيه أوباما بكلمة "الآن"، فأجاب: الآن يعني بالأمس.

في 5 فبراير، تلقى أوباما مكالمة هاتفية من ديفيد كاميرون رئيس وزراء المملكة المتحدة، الذي أبدى قلقه من أنَّنا لم نكن حازمين بما يكفي للضغط على مبارك للتنحي. وقال كاميرون إنَّه مرتبك مما قاله فرانك ويزنر في ذلك اليوم. "ويزنر؟!" أجاب أوباما "أنا لم أر ذلك."

جاء فرانك ويزنر من إحدى العائلات التي حددت دور أمريكا في العالم بعد الحرب العالمية الثانية. فوالده أحد كبار الشخصيات في وكالة المخابرات المركزية. وعمل ويزنر لفترة طويلة في وزارة الخارجية حيث شغل منصب سفير أربع مرات، بما في ذلك خمس سنوات في مصر في نهاية الحرب الباردة. مع تصاعد الاحتجاجات، قبل أوباما توصية هيلاري بإرسال ويزنر إلى القاهرة كمبعوث خاص حيث كان مبارك يثق به. تركزت مهمة ويزنر الصعبة على تقديم المشورة لمبارك لبدء الانتقال في مصر. وكانت الكلمات الأخيرة التي سمعت أوباما يقولها له وهو يشرع في مهمته: "كن جريئًا".

نجح ويزنر في ضمان وعد من مبارك بعدم الترشح لولاية أخرى كرئيس، لكن ذلك لم يكن كافيًا للناس في الشوارع أو لأوباما. بعد أيام قليلة من تصريح أوباما الذي دعا إلى نقل مبارك للسلطة، ودون علم أي منا في البيت الأبيض، شارك ويزنر في مؤتمر للأمن الدولي في ميونيخ، وافترض الناس أنَّه يتحدث نيابة عن الإدارة عندما قال "توجد حاجة إلى الحصول على إجماع وطني حول الشروط المسبقة للخطوة التالية للأمام، ويجب على الرئيس مبارك البقاء في منصبه لتوجيه هذه التغييرات". وهذه هي الملاحظة التي لفتت انتباه كاميرون أما كلينتون التي حضرت المؤتمر أيضًا، فقد أدلت بتصريحات بدا أنَّها تعزز تصريحات ويزنر.

بدا أوباما مرتبكًا عندما أغلق الهاتف مع كاميرون، واستدعى مجموعة منا إلى المكتب البيضاوي وقال "ما الذي يجري هنا؟" وطلب مني الاتصال بالأشخاص الذين يسافرون مع كلينتون بينما اتصل عليها بنفسه. في وقت لاحق، بعد المكالمة، أخبرني دونيلون أنَّه لم يره قط بهذا الغضب. لقد اتخذ بالفعل خطوة غير مسبوقة بإخبار مبارك أنَّه بحاجة إلى التنحي، وهو أمر سيضر بعلاقاته مع بعض أصحاب المصالح المهمة في الخليج وإسرائيل؛ والآن يبدو أنَّ إدارته تتراجع.

في ذاك الوقت، ركزت وسائل الإعلام التي تتناول زاوية واشنطن على قصص الرسائل المختلطة الصادرة عن حكومة الولايات المتحدة، وهي ديناميكية تضمن أنَّنا نجعل الجميع غير سعداء: الناس في الشوارع الذين اعتقدوا أنَّ أوباما كان بطيئًا، والناس في السلطة بالقاهرة والخليج الذين اعتقدوا أنَّ أوباما خان حليفًا مهمًا، وهو اعتقاد يشاركه الكثيرون في واشنطن.

في غضون ذلك، سمعت أنَّ سفيري السعودية والإمارات، وهما من أقوى المبعوثين في واشنطن، يخبران الناس في الصحافة ومؤسسة السياسة الخارجية بأنَّ أوباما قد تلقى نصيحة سيئة من قبل شباب مثلي كانوا أكثر اهتمامًا بالحفاظ على صورته الإعلامية أكثر من الاستماع إلى الأصوات الحكيمة التي فهمت أنَّ الديمقراطية لا يمكن أن تنجح في الشرق الأوسط. لقد كان هذا بداية جهد استمر لسنوات من قبل هذين البلدين لاستعادة الديكتاتورية في مصر، وسوف ينجحان في النهاية.

الشيء الوحيد الذي بدا أنَّه في صالحنا هو الواقع في شوارع مصر. يومًا بعد يوم، انتشرت الاحتجاجات، وبدا نظام مبارك وكأنه ينهار. في 11 فبراير، استيقظت على نبأ فرار مبارك إلى منتجع شرم الشيخ واستقالته. وصغت بيانًا لأوباما قارن خلاله بين ما حدث للتو وبعض الحركات الشهيرة في العقود العديدة الماضية مثل الألمان يهدمون جدار برلين، والإندونيسيون يسقطون الديكتاتورية، والهنود يسيرون بلا عنف من أجل الاستقلال. وقال لي أوباما (أحد الأشياء التي سهلت الأمر بالنسبة لي هو أنَّني لم أكن أعرف مبارك

حقًّا). وأشار إلى أنَّ جورج بوش اتصل بمبارك في ذروة الاحتجاجات للتعبير عن دعمه، ولم يقتصر الأمر على بوش فقط، فآل كلينتون وجيتس وبايدن يعرفون مبارك منذ عقود، وأشار إلى العاهل الأردني الشاب الذي أقام معه صداقة قائلًا (لو كان الأمر يحدث مع الملك عبد الله، لا أعرف ما إذا كان بإمكاني فعل الشيء نفسه).

## الفصل التاسع: الثورة في ليبيا

بعد أيام قليلة من تنحي مبارك، تصاعدت الاحتجاجات في ليبيا. كانت هناك دعوات جديدة لرحيل القذافي. استخدمت قوات الأمن الذخيرة الحية لإطلاق النار على الحشود، وسيطر المتمردون على أجزاء من البلاد بما في ذلك بنغازي ثاني أكبر مدينة في ليبيا. بدلًا من مصر، أصبحت ليبيا الآن على كل شاشات التلفزيون في الجناح الغربي، وتسيطر على الأسئلة في المؤتمرات الصحفية، وتضع طريقها على جدول أعمال رئيس الولايات المتحدة.

في 22 فبراير، وصلنا إلى إحدى نقاط التحول التي أصبحت مألوفة في الربيع العربي - اللحظة التي يلقي فيها ديكتاتور خطابًا بارزًا يشير إلى كيفية استجابته لدعوته للتنحي. جلسنا نشاهد التلفزيون بينما يقف القذافي أمام بقايا مبنى تعرض للقصف من قبل ريغان، وتعهد بـ "تطهير ليبيا شبرًا شبرًا، بيتًا بيتًا، بيتًا بيتًا، شارعًا شارعًا، شخصًا بشخص، حتى تنظف البلاد من الأوساخ والقاذورات".

أرسل لنا الخبراء أوراقًا تحاول وضع الأحداث الجارية في العالم العربي في سياق تاريخي: هل هذا مشابه لسقوط جدار برلين عندما انتقلت دول أوروبا الشرقية إلى الديمقراطية؟ أم هذا مثل ربيع براغ عام 1956 أو ميدان تيانانمن عام 1989، حركات شعبية من الممكن أن يقمعها رجال أقوياء؟

لقد استنفدنا الخيارات المتاحة في غضون أيام من قبيل تجميد أصول القذافي، وفرض حظر سفر عليه وعلى أسرته، والعمل من خلال الأمم المتحدة لفرض حظر على الأسلحة، وإحالته إلى المحكمة الجنائية الدولية لارتكاب جرائم محتملة ضد الإنسانية.

وأرسلنا رسائل إلى الأشخاص الذين تربطهم صلات بأسرة القذافي مفادها أنَّه يجب أن يغادر ليقيم في مكان آخر، ويترك البلاد تتجنب الحرب الأهلية، لكن دون جدوى. في 26 فبراير، قررنا دعوة القذافي للرحيل. صرح أوباما أنَّه عندما تكون الوسيلة الوحيدة للبقاء في السلطة هي استخدام الحاكم للعنف الجماعي ضد شعبه، فإنَّه يفقد شرعية الحكم ويحتاج إلى فعل ما هو مناسب لبلده من خلال المغادرة. كان القذافي ثاني زعيم عربي سعينا إلى رحيله في غضون عدة أشهر، ولن يكون الأخير.

بدأ أعضاء الكونجرس في الدعوة لفرض منطقة حظر طيران فوق ليبيا. سألنا الصحفيون عن عدد الأشخاص الذين ماتوا قبل أن يفعل باراك أوباما شيئًا. بينما كانت روسيا متحالفة تاريخيًّا مع ليبيا وتعارض الجهود التي تقودها الولايات المتحدة لفرض تغيير النظام على دول أخرى.

معظم الناس في الحكومة الأمريكية لم يريدوا فعل أي شيء تجاه ليبيا. أوضح الجيش الأمريكي أنَّ ليبيا ليست أولوية، فلديه حربان للتعامل معهما ورغبة قليلة في خوض حرب ثالثة. وفرض منطقة حظر مهمة معقدة تتطلب القضاء على الدفاعات الجوية للقذافي والقيام بدوريات جوية فوق ليبيا إلى أجل غير مسمى.

وتساءل آخرون في البيت الأبيض عن سبب استنفاد الربيع العربي الكثير من وقت أوباما رغم احتلال الاقتصاد اهتمامات الأمريكيين.

أخبر القادة العرب هيلاري كلينتون أنَّهم مستعدون لأن يكونوا جزءًا من محاولة لمعاقبة القذافي. في أوروبا، أشار الرئيس الفرنسي ساركوزي إلى أنَّه سيضغط من أجل إصدار قرار من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يدعو إلى فرض منطقة حظر طيران. ومن ثم عقد أوباما اجتماعًا لمجلس الأمن القومي في 15 مارس ليقرر أين سنقف في الأمم المتحدة.

وفي النهاية، قال أوباما سندعو إلى اتخاذ جميع التدابير الضرورية لحماية المدنيين على الأرض، وهو تعبير ملطف عن الحرب. ولتهدئة الجيش، اتصل أوباما بكاميرون وساركوزي وأوضح لهم أنَّنا سنقود الجهود للقضاء على دفاعات القذافي الجوية والقوات البرية في بداية العملية، لكننا نتوقع من الأوروبيين تولي قيادة المهمة بعد عدة أيام. وتعرضنا لانتقادات بسبب عدم الحصول على تفويض من الكونجرس على الرغم من عدم وجود طريقة لتمرير التفويض من قبل مجلس جمهوري، ولقد أخبرني محامونا أنَّه ليس المفترض أن أستخدم كلمة "حرب" حيث لم نطلب إذنًا من الكونجرس، وكنا نجادل بأنَّها عملية عسكرية محدودة، وبالتالي تقع ضمن السلطة الدستورية للرئيس.

في كل صباح من الأيام التالية، عقد أوباما اجتماعًا صغيرًا في غرفة العمليات ليطلع على التقدم الذي أحرزناه في ليبيا، تم تدمير الدفاعات الجوية للقذافي، أوقفت قواته في ضواحي بنغازي، وربما أنقذ عشرات الآلاف من الأرواح، ولم يصب أي أمريكي. وبعد أيام قليلة نقلنا العملية إلى قيادة الناتو حيث تولى الطيارون الفرنسيون والبريطانيون الجزء الأكبر من القصف. كان هذا ما أراده أوباما: عملية متعددة الأطراف، لا قوات برية، أهداف محدودة تدور حول إنقاذ الأرواح، وإعطاء الليبيين فرصة لتقرير مستقبلهم، وليس تثبيت نظام جديد أو بناء ديمقراطية.

في شهرين فقط، انقلب العالم رأسًا على عقب. لقد رأينا سقوط نظام في تونس، وانفصال عن حليف قديم للولايات المتحدة في مصر، وتدخل في ليبيا. بدا أنَّ الوضع يتحول في اتجاه الشباب في الشوارع، وقد وضعنا الولايات المتحدة الأمريكية في صفهم. كان المكان الذي ستتحول إليه هذه الدراما بعد ذلك غير مؤكد - فقد بدأت الاحتجاجات تزعج بالفعل ملكًا في البحرين، وزعيمًا فاسدًا في اليمن، ورجلًا قويًّا في سوريا.

وبعد خمسة أشهر منذ أن سقطت القنابل الأمريكية الأولى على ليبيا دون وضع جندي واحد على الأرض أو التعرض لجرح أمريكي واحد، كنا قد ساعدنا في إنقاذ آلاف الأرواح، وبدأت حكومة القذافي تنهار. ثم قُتل القذافي في مسقط رأسه في "سرت" حين قصفت طائرة مسيرة تابعة للتحالف موكبه، وفر القذافي من السيارة وحاول الاختباء في أنبوب صرف صحي، ولكن قامت مجموعة من المتمردين بجره وقتله. وقد علق برينان مستشار أوباما لمكافحة الإرهاب على مقتل القذافي قائلًا إنَّها نهاية تليق بأحد أكبر الفئران في القرن العشرين.

## الفصل العاشر: مقتل بن لادن

من خلال معرفتنا بشبكة من السعاة المرتبطين ببن لادن، حددنا مجمعًا محتملًا لإقامته في أبوت آباد في عمق باكستان قرب أكاديمية عسكرية باكستانية. لم نكن متأكدين من أنَّ بن لادن هناك، لكنه كان أفضل تقدم حصلنا عليه منذ أن تسلل عبر الحدود الأفغانية في ديسمبر 2001. اجتمع أوباما لعدة أسابيع مع دائرة ضيقة من المستشارين، واقترب من اتخاذ قرار بشأن استهداف المجمع من خلال غارة للقوات الخاصة أو نوع آخر من الضربات. كانت هناك أسئلة كثيرة: من الذي سيتصل بالباكستانيين ومتى؟ من سيتصل بالسعوديين ومتى؟ ماذا يحدث إذا قبضنا عليه وهو على قيد الحياة؟ إذا كان ميتًا فكيف نتحقق من أنَّه بن لادن؟ كيف سيدفن؟ ماذا سيحدث إذا لم يكن هو؟ ماذا يحدث إذا سارت الأمور بشكل خاطئ؟

طُرح خيار لقصف المجمع، لكن أوباما بدا أقل اهتمامًا بهذا الخيار لأنَّه سيحرمنا من التأكد من وجود بن لادن، وسيحرمنا من أي معلومات استخباراتية يمكن جمعها من المجمع. في حين رفض جيتس شن مداهمة مستذكرًا فاجعة محاولة إنقاذ الرهائن الأمريكيين في إيران التي أسفرت عن مقتل 8 جنود إثر اصطدام طائراتهم، وعارض بايدن تلك الفكرة أيضًا، وتحدث بإسهاب عن الكارثة التي يمكن أن تحدث مع باكستان حال اندلاع معركة بالأسلحة النارية في مكان الحادث، واندلاع تهديدات لسفارتنا، وانقطاع في علاقاتنا.

لكن أوباما قرر المضي في خيار شن غارة للقوات الخاصة على المجمع. وعقب التأكد من مقتل بن لادن، اتصل رئيس هيئة الأركان مولن بقائد الجيش الباكستاني الجنرال كياني ليخبره أنَّنا ننفذ تلك العملية العسكرية في بلاده. وطلب كياني منا نشر الأخبار على الفور لتبرير تنفيذ عملية في عمق باكستان. ثم تحدث أوباما إلى الرئيس الباكستاني آصف علي زرداري الذي قال لأوباما إنَّها أخبار جيدة للغاية. واحتفل الأمريكيون في الشوارع بالخبر ملوحين بالأعلام.

## الفصل الحادي: تجمع الغيوم

في ربيع عام 2011، كانت قصة باراك أوباما تكتسب زخمًا متزايدًا. فقد غادر العراق مائة ألف جندي، واستقر الاقتصاد، وأصبح إصلاح الرعاية الصحية قانونًا، ومات بن لادن. لقد قام أوباما إلى حد كبير بأهم الأشياء التي قال إنَّه سيفعلها. ولكن كان هناك شيء مفقود، وهو الشخصيات الداعمة له في الكونجرس وفي أغلب أنحاء العالم.

في الداخل، تبنى الحزب الجمهوري استراتيجية معارضة شرسة ووقحة أدت إلى اعتقاد أغلبية من ناخبيه بأنَّ أوباما ولد في كينيا. وتخلى ميتش مكونيل زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ عن أي تظاهر بالتعاون قائلًا إنَّ أولويته القصوى هي جعل أوباما رئيسًا لولاية واحدة.

خطط فلاديمير بوتين للعودة إلى الرئاسة، وراقب بحذر الحركات الشعبية التي انقلبت على مبارك والقذافي. وفي أوروبا، أدت الأزمة المالية إلى انتشار أزمة اقتصادية بدأت تقوض ثقة الجمهور في الاتحاد الأوروبي. أدى الصراع وتغير المناخ وانتشار الهواتف الذكية وشبكات التهريب إلى زيادة تدفق اللاجئين من جنوب آسيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وفي إسرائيل، حيث أراد أوباما أن يسعى لتحقيق السلام، لم يكن لديه شريك، وقد قال أوباما إنَّ التعامل مع نتنياهو يشبه التعامل مع الجمهوريين.

## الفصل الثاني عشر: الثورة في سوريا

في ذلك الصيف، كان الشعور بالأزمة يتصاعد في سوريا. بدأ الأمر بتجمع الشباب في الشوارع، وكتابات الغرافيتي على الجدران: الشعب يريد إسقاط النظام. رد الدكتاتور بشار الأسد باعتقالات جماعية وتعذيب، واعتمد نظامه على دعم إيران وروسيا، وفي ذات الوقت كان أوباما عالقًا في أزمة سياسية في الداخل حيث رفض الجمهوريون في الكونجرس رفع سقف الديون مما أثار مخاوف من أنَّ الكونجرس قد يدمر الاقتصاد الأمريكي. وفي النهاية وافق الجمهوريون على رفع سقف الديون مقابل تخفيضات كبيرة في الإنفاق الحكومي.

السؤال الأكثر إلحاحًا هو متى يجب دعوة الأسد علنًا للتنحي عن منصبه كزعيم لسوريا. فقد كنا نعلم أنَّه لن يستجيب لأوامرنا، لكننا أطلقنا دعوات مماثلة بشأن مبارك والقذافي. ويوجد موقف أخلاقي يجب اتخاذه، ورسالة سياسية يجب إرسالها.

نظرًا لدوري في مجال الاتصالات، جاءني موظفو سوريا في مجلس الأمن القومي وقالوا إنَّهم يعتقدون أنَّ الوقت قد حان للإدلاء بالبيان. اعتقد دبلوماسيونا أنَّ ذلك قد يؤدي إلى إغلاق السفارة، لكننا كنا على هذا المسار على أي حال. وأعدت وزارة الخزانة حزمة أقوى من العقوبات. وقال أوباما إنَّه منفتح على القيام بذلك بشرط أن نتصرف بالتنسيق مع حلفائنا. وتم إعداد استراتيجية دبلوماسية لتعزيز عزلة الأسد، وصرح أوباما في أغسطس 2011 بأنَّه حان الوقت لكي يتنحى الأسد، وعقب ذلك أصدرا كاميرون وساركوزي وميركل بيانًا مشتركًا قالا خلاله إنَّ على الأسد مواجهة حقيقة الرفض الكامل لنظامه من قبل الشعب السوري.

اعتمدنا على زيادة الضغط على الأسد من الداخل كي يواجه عزلة متزايدة من الخارج بطريقة من شأنها أن تتسبب في انهيار نظامه، وفي حين أنَّ تقييمات الحكومة الأمريكية قللت من احتمال تنحي مبارك قبل فبراير 2011 فإنَّها انحرفت الآن في الاتجاه الآخر متوقعة الإطاحة بالأسد. وبدا أنَّ معظم المحللين يعتقدون أنَّ أيامه معدودة، وكذلك فعلت أنا. ومع ذلك، فقد اكتشفت درجة أكبر من الشك من جانب أوباما الذي حذرنا (سوريا يمكن أن تكون شاقة أطول مما نعتقد).

وبينما كنا نحاول إخفاء الأزمات المختلفة في جميع أنحاء الشرق الأوسط حيث بدت الاستبداد والقبلية والطائفية أقوى من أي قوة خارجية، بحثت عن مناطق وقضايا أخرى لتكريسها الوقت، الأماكن التي يمكننا فيها فعل شيء إيجابي.

خلال العامين الماضيين، عملنا على زيادة أهمية منطقة آسيا والمحيط الهادئ. وأُعتمدت العديد من القضايا التي حفزت أوباما على التعاون مع آسيا مثل تنمية الاقتصاد الأمريكي، ومكافحة تغير المناخ، وصياغة قواعد جديدة تحكم التجارة والتبادل التجاري بين الدول. في حين كان الشرق الأوسط يمثل الماضي في حروبه الدينية، والمستبدين المدعومين من أمريكا، والثوار الإيرانيين، والتهديدات الإرهابية.

بدت آسيا وكأنها تمثل المستقبل، وقد ساعد في ذلك رغبة الشعوب والحكومات في آسيا في تعميق العلاقات مع الولايات المتحدة، ويرجع ذلك جزئيًا إلى مخاوفهم بشأن أكبر قوة ناشئة في جوارهم تتمثل في الصين.

بدأنا في هاواي، حيث تستضيف الولايات المتحدة قمة دول المحيط الهادي لمناقشة اتفاقية تجارية مع كتلة كبيرة من دول المحيط الهادئ للتأكيد على أنَّ الصين ليست هي التي ستكتب قواعد التجارة الدولية، كما وضعنا اللمسات الأخيرة على خطط أوباما للاتصال بأونغ سان سو كي وإعلانها أنَّنا سنعيد العلاقات مع بورما، وذلك لتوسيع العلاقات في جنوب شرق آسيا. وبعد توقفنا في أستراليا التي نشرنا بها قوات من المارينز في قاعدة جديدة، سافرنا إلى بالي لحضور قمة شرق آسيا، وهي المرة الأولى التي تحضر فيها الولايات المتحدة هذا المنتدى للدول الآسيوية في إشارة إلى زيادة تركيزنا على المنطقة.

## الفصل الثالث عشر: أزمة الفيديو المسيء

في الأشهر الأولى من عام 2012، كان هناك قلق حقيقي من اندلاع حرب بين إسرائيل وإيران. استمر البرنامج النووي الإيراني في التقدم، وأصبحت التهديدات من إسرائيل أكثر عدوانية، وكانت هناك دلائل على أنَّ الهجوم على المنشآت النووية الإيرانية قد يصبح وشيكًا. ضغطنا على إيران بزيادة العقوبات الاقتصادية، أقنع أوباما قادة الدول الصديقة بفعل شيء ضد مصلحتهم الاقتصادية عبر مقاطعة إيران. لكن نتنياهو استمر يشتكي من أنَّه لا يفعل ما يكفي. وأوضح أوباما أنَّه سيضرب المنشآت النووية الإيرانية حال الاضطرار لذلك، لكننا لم نصل تلك المرحلة بعد.

في ظهر يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2012، بدأنا في تلقي تقارير مقلقة من القاهرة عن تجمع مئات المتظاهرين وهم يهتفون عند جدران سفارتنا. على ما يبدو، كان مقطع فيديو بعنوان "براءة المسلمين"، وهو فيلم فج وغامض يهدف إلى الإساءة للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- قد أحدث رد فعل عنيف.

فقد نُشر مقطع دعائي مدته أربعة عشر دقيقة على موقع اليوتيوب في وقت سابق من الصيف. وقام مسيحي مصري قبطي عاش في كاليفورنيا بالترويج للفيديو، وبدأ ينتشر في مصر. وتمت دبلجة جزء منه إلى اللغة العربية.

كان الشاغل الرئيسي لنا هو الأمن في سفارتنا بالقاهرة، وفي محاولة لتهدئة الاحتجاجات، أصدر المتحدث باسم سفارتنا بيانًا قال فيه "تدين سفارة الولايات المتحدة في القاهرة الجهود المستمرة من قبل الأفراد المضللين لإيذاء المشاعر الدينية للمسلمين" لكن في المساء تسلق الحشد جدران مجمّعنا ورفعوا العلم الأسود الذي يستخدمه المسلحون في جميع أنحاء الشرق الأوسط رفقة راية تحمل باللغة العربية جملة لا إله إلا الله. قضيت معظم فترة ما بعد الظهر في اجتماعات حول ما يجب القيام به لتأمين سفارتنا ووقف الضجة المتضخمة.

علمت أنَّ الأزمة لم تقتصر على القاهرة، فقد حدث شيء أيضًا في مجمعنا الدبلوماسي في بنغازي. وفي اجتماع مع وزير الدفاع، أمر أوباما الجيش بفعل كل ما هو ضروري لتأمين المنشآت الأمريكية في ليبيا وعبر المنطقة، وكان هناك شعور بتفاقم الأزمة. وعلى عكس القاهرة، لم يكن هناك عدد كبير من الصحفيين الأمريكيين في بنغازي، لذلك لم تكن هناك كاميرات تلفزيونية ولم يكن هناك سوى القليل من المعلومات الموثوقة حول ما يحدث. وخلال المساء، أصبحت التقارير أكثر قتامة فقد أصيب السفير ستيفنز بجروح بالغة. وبعد ذلك، مع حلول المساء في واشنطن، وصل خبر بأنَّ ستيفنز مات كما قُتل أمريكي آخر. وعقدنا اجتماعًا لمراجعة الإجراءات الأمنية لسفاراتنا في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

خشيت سفارات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط المزيد من الاحتجاجات، وطالبت بتصريحات تبعد الحكومة الأمريكية عن الفيديو وتدينه، بينما بدأت وسائل الإعلام الأمريكية اليمينية في مهاجمة البيان الذي أصدرته السفارة الأمريكية في القاهرة وأتهمتها بإلقاء اللوم في التسبب بالعنف على الفيديو بدلًا من المتظاهرين. وقال الجمهوري ميت رومني (إنَّه لأمر مخز أنَّ رد إدارة أوباما الأول لم يكن إدانة الهجمات على بعثاتنا الدبلوماسية، ولكن التعاطف مع أولئك الذين شنوا الهجمات). وقفت في غرفة نومي وأنا أراجع كلمات رومني بينما اجتاحتني موجات من الغضب. وللحظة لم أستطع حتى أن أفهم العبارة التي قصدها رومني؛ ثم أدركت أنَّه يشير إلى البيان الذي أصدرته السفارة بالقاهرة في وقت سابق اليوم قبل حدوث أي شيء في بنغازي. لقد اعتدت على هجمات الجمهوريين القبيحة، لكن هذا كان شعورًا مختلفًا. فقد كانوا ينتقدوننا بأقسى طريقة ممكنة في خضم أزمة، وهاجموا موظفي الخدمة الخارجية الذين أصدروا بيانًا بينما تتعرض سفارتهم للحصار. لقد تجاهل الجمهوريون حقيقة أنَّ الفيديو كان مسيئًا، وصعبوا علينا قول أشياء يمكن أن تساعد في حماية حياة الأمريكيين في الخارج. لقد قالوا أي شيء من الممكن أن يصور أوباما على أنَّه معاد لأمريكا.

خلال بقية الأسبوع، استمرت الاحتجاجات ضد الفيديو في الازدياد في عشرات المدن حول العالم من إسلام آباد إلى صنعاء إلى تونس العاصمة. وخشينا من أن يتحول يوم الجمعة إلى حمام دم، فعقب صلاة الجمعة يمكن للأئمة إثارة الحشود، ويمكن للمتطرفين الاستفادة من الفوضى. وبدأ فريق الاستجابة للأزمات في الاجتماع بانتظام حول ما يمكننا القيام به للتخفيف من حدة الموقف، تواصلنا مع جميع خريجي برامج التبادل الأمريكية في الشرق الأوسط، واتصلنا بجوجل ويوتيوب لطلب إزالة الفيديو المسيء، وكثفنا الإجراءات الأمنية في السفارات والقنصليات والمنشآت العسكرية في جميع أنحاء العالم العربي.

وفي يوم الجمعة شعرت كما لو أنَّ شيئًا ما ينهار ولا يمكن إعادة تجميعه، ففي تونس لقي أربعة أشخاص مصرعهم على أسوار السفارة الأمريكية عندما تسلق حشد غاضب الجدران ورفعوا العلم الأسود. وفي القاهرة اعتُقل المئات في ميدان التحرير، وفي أفغانستان شنت حركة طالبان هجومًا أسفر عن مقتل اثنين من مشاة البحرية، وامتدت الاحتجاجات إلى أماكن بعيدة مثل باريس وسيدني.. في غضون ذلك، أعيدت توابيت الأمريكيين الأربعة الذين قتلوا في بنغازي إلى قاعدة أندروز الجوية. وشعرت أنَّني أشاهد الربيع العربي وهو يتحول إلى ظلام.

في الداخل، استمر الغضب اليميني بشأن انتقادنا لمقطع الفيديو على الإنترنت في التزايد حيث عمل الجمهوريون لتحويل بنغازي إلى مشكلة سياسية لأوباما. وأصبح الأمر كما لو كنت أسكن عالمين مختلفين تمامًا: حيث أقضي معظم يومي في محاولة نقل رسائل إلى أشخاص خارج الولايات المتحدة شعروا بالإهانة من الفيديو؛ ثم أقضي ساعة أو ساعتين للاستعداد للأسئلة حول ما إذا كنا نعتذر عن الفيديو أو ما إذا كانت سياسة أوباما الخارجية فاشلة.

## الفصل الرابع عشر: الموقف من الثورة السورية والانقلاب في مصر

في خريف عام 2012، شق اقتراح طريقه إلى أوباما يوصي بتقديم دعم عسكري للمعارضة السورية، ودعم مدير وكالة المخابرات المركزية ذلك الخيار، ليس بهدف تغيير اتجاه الحرب إنما لبناء علاقات مع المعارضة.

على مدار فصل الخريف، خضت معركة خاسرة ضد أولئك الذين أرادوا تصنيف جزء من المعارضة السورية -بالتحديد جبهة النصرة- كمنظمة إرهابية. ربما كانت النصرة أقوى قوة قتالية داخل المعارضة، وبينما وُجدت عناصر متطرفة في الجماعة، كان من الواضح أيضًا أنَّ المعارضة الأكثر اعتدالًا تقاتل جنبًا إلى جنب مع النصرة. وجادلت بأنَّ تصنيف النصرة بالإرهابيين سيعزل نفس الأشخاص الذين أردنا مساعدتهم، بينما سيعطي النصرة حافزًا أقل لتجنب الانتماءات المتطرفة.

وتحدثت عن غطرسة السياسة الخارجية الأمريكية عبر الاعتقاد بأنَّنا نستطيع هندسة المعارضة السورية التي بالكاد نعرفها -والذين يقاتلون من أجل حياتهم- من خلال تصنيف بعضها كإرهابية وتقديم بعض الدعم العسكري المتواضع.

لقد جادلت أيضًا أنَّه إذا كنا سنتدخل في الحرب الأهلية في سوريا، فعلينا أن نفعل ذلك بجيشنا. فمن أمريكا الوسطى إلى أفغانستان، لم يكن لدى أمريكا سجل حافل في تسليح الوكلاء. إذا اعتقدنا أنَّ الأمر يستحق قلب الميزان ضد الأسد، فعلينا أن نناقش ما إذا كنا سنضرب نظامه مباشرة. لقد ضغطت على هذه النقطة في بضع اجتماعات في أواخر عام 2012 وأوائل عام 2013، لكنني كنت عادةً الشخص الوحيد الذي يفعل ذلك بخلاف جيك سوليفان وسامنثا باور.

قلت لأوباما: إذا استمرت الأمور في التدهور، يجب أن نفكر في قصف مدارج الأسد أو توجيه ضربات محدودة ضد بعض البنية التحتية للنظام، فقال أوباما "وماذا يحدث بعد أن نقصف المدارج وتعيد روسيا وإيران والأسد بناءها؟"

قرر أوباما أن تكون أول رحلة خارجية له في ولايته الثانية إلى إسرائيل والأردن. فطوال فترة ولايته الأولى، انتظرنا القيام بزيارتنا الأولى لإسرائيل معتقدين أنَّنا سنذهب عندما يكون هناك انفراجة في عملية السلام. بعد أربع سنوات، كان من الواضح أنَّ الانفراجة قد لا تأتي أبدًا. وقد تعرض أوباما لانتقادات متكررة طوال فترة الانتخابات لعدم زيارته لإسرائيل.

انتهت حقبة الأمل الذي بدأ مع انتشار الربيع العربي إلى مصر في عام 2011 خلال رحلة قمنا بها إلى إفريقيا في يونيو 2013. ففي تنزانيا، اتصل أوباما بمحمد مرسي من غرفة آمنة في فندقه.

هذه المرة، كانت لدينا مؤشرات على أنَّ الجيش المصري المدعوم من الحكومتين السعودية والإماراتية يؤجج الاضطرابات، ويستعد للإطاحة بحكومة مرسي المعيبة لكنها ديمقراطية. كما رعت الرياض وأبوظبي حملة إعلامية ضد السفيرة الأمريكية آن باترسون، واعتبروها شريكة لجماعة الإخوان المسلمين.

كانت تلك طريقة منهم لممارسة الضغط علينا لإثبات أنَّهم لن يذعنوا هذه المرة في نيتهم لرؤية نوع الحكومة التي يريدونها في القاهرة. وفي واحدة من أكثر الأعمال الوقحة التي مررت بها في وظيفتي، أرسل السفير الإماراتي في الولايات المتحدة يوسف العتيبة -وهو رجل يُعامل كصوت رائد في شؤون المنطقة في أروقة السلطة في واشنطن- لي صورة ملصق يضع باترسون في هذه المساحة دون أن يرفق أي رسالة أخرى.

بدا مرسي متعبًا لكنه كان عنيدًا، وحثه أوباما على القيام بشيء ما للتواصل مع معارضته المتزايدة، وتنصيب حكومة وحدة يمكن أن تجمع البلاد. وقال أوباما: "كما تعلم، لقد غادرت للتو جنوب إفريقيا حيث يوجد نيلسون مانديلا في المستشفى وهو مريض جدًّا. عندما وصل إلى السلطة كان بوسعه أن يذهب إلى الأقلية البيضاء في جنوب إفريقيا ويقول "نحن الآن الأغلبية وسنفعل ما نريد" لكنه لم يفعل ذلك. لقد بذل قصارى جهده للوصول إلى الأقلية حتى أنَّه عين حارس السجن السابق الذي كان محتجزًا فيه مسؤولًا عن الأجهزة الأمنية.

كانت رسالة أوباما أنت لست رئيس جماعة الإخوان فقط، أنت رئيس مصر. أنت بحاجة إلى الاستماع إلى الجميع، ويجب أن تعكس حكومتك الجميع.

استمر مرسي في إعادة تأكيد شرعيته الديمقراطية، وأنَّه فاز في الانتخابات. بعد أيام قليلة، أُطيح بمرسي في انقلاب عسكري.. واستولى اللواء عبد الفتاح السيسي على السلطة حيث نصب نفسه على أنَّه المنقذ لمصر من الإسلاميين بدعم كامل من السعودية والإمارات، وهما حليفان للولايات المتحدة عملا ضد السياسة الأمريكية.. كان أوباما أقوى رجل في العالم، لكن هذا لا يعني أنَّه يستطيع السيطرة على القوى التي تلعب في الشرق الأوسط.

كانت القوى الرجعية في المنطقة والتي تتمتع بدعم سياسي عميق في الولايات المتحدة عازمة على التمسك بالسلطة. كان بشار الأسد في طريقه للقتال حتى الموت بدعم من رعاته الروس والإيرانيين. وكانت الفصائل تقاتل في شوارع ليبيا. وكان السعوديون والإماراتيون على وشك القضاء على المعارضة السياسية في مصر قبل أن تصل إلى بلادهم. وكان رئيس وزراء من الليكود يتفوه بكلمات عن السلام بينما يبني مستوطنات تجعل السلام مستحيلًا.

لقد فتح التاريخ بابًا في عام 2011 تم إغلاقه بحلول منتصف عام 2013. سيكون هناك المزيد من الحرب، والمزيد من الصراع، والمزيد من المعاناة، إلى أن يصنع كبار السن السلام يومًا ما.

## الفصل الخامس عشر: ملف كوبا

طرح علي أوباما سؤالًا، لماذا لا تفكر في مشروعين ترغب في القيام بهما؟ بدأت في الاحتفاظ بملف في رأسي لما أسميته "جدول الأعمال الإيجابية" وهي القضايا التي يمكننا القيام بالمزيد فيها مثل كوبا وكولومبيا وبورما، وبرامج التبادل، والتنمية في إفريقيا، الأماكن التي قد يُحدث فيها القليل من الاستثمار من جهة الولايات المتحدة فَرقًا إيجابيًّا.

توقف أوباما عند كوبا، وقال "دعونا نرى ما يمكننا القيام به هنا". "لكن علينا إخراج آلان غروس من السجن". كان آلان جروس متعاقدًا من الباطن مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية يبلغ من العمر ثلاثة

وستين عامًا، وقد أمضى بالفعل ثلاث سنوات في سجن كوبي حيث سبق أن اعتقل في ديسمبر 2009 أثناء قيامه بتسليم معدات اتصالات عبر الأقمار الصناعية إلى الجالية اليهودية الصغيرة في كوبا، واتُهم بالتجسس. وبينما سعت وزارة الخارجية لإطلاق سراح غروس، أصر الكوبيون على مبادلته بأربعة كوبيين مسجونين في الولايات المتحدة كانوا جزءًا مما يسمى بشبكة الجواسيس الكوبيين الخمسة التي قُبض عليها بعد أن أسقطت كوبا طائرتين صغيرتين تلقيان منشورات على كوبا في التسعينيات، مما أسفر عن مقتل أربعة أشخاص.

الطريقة الوحيدة لإخراج جروس من السجن وتمهيد الطريق لتغييرات أوسع تمر عبر الدبلوماسية المستمرة، لكن لم تكن لدينا علاقات دبلوماسية رسمية مع كوبا حيث عارض حفنة من المتشددين بالكونجرس تحسين العلاقات بمن فيهم الأمريكيان الكوبيان الأصل بوب مينينديز الرئيس الديمقراطي للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، والجمهوري ماركو روبيو. ولم يثق الكوبيون بوزارة الخارجية التي أمضت عقودًا في محاولة عزل كوبا وتوجيه المساعدة إلى معارضي الحكومة الكوبية. وإذا كنا سنتحدث، فسيتعين علينا القيام بذلك سرًا.

اقترحت إجراء حوار مع الكوبيين حول آلان غروس ومكافحة الإرهاب بحيث إذا تسرب الأمر، لا يمكن لأحد أن يعترض. وأملنا أن نحصل على قوة دفع ونوسع الحوار تدريجيًّا لمعالجة القضايا الأعمق في العلاقة.

وفي مايو 2013، أرسلنا رسالة قصيرة إلى الكوبيين نقترح عليهم عقد اجتماع. وكان هذا أول اختبار لمعرفة ما إذا كان الكوبيون يريدون التواصل. بعد أيام قليلة من إرسالنا الرسالة، تلقينا ردًّا جادًا بأنَّ اليخاندرو نجل راؤول كاسترو، سيقود الوفد الذي وافق على لقائنا في كندا. وهو رئيس يسمى لجنة الأمن القومي والدفاع الكوبية، وثالث أقوى رجل في كوبا بعد راؤول وفيدل.

## الفصل السادس عشر: الخط الأحمر في سوريا

في يوم الأربعاء 21 أغسطس 2013 توالت الأخبار بأنَّ الأسد شن هجومًا بالأسلحة الكيميائية أسفر عن مقتل أكثر من ألف شخص في إحدى ضواحي دمشق. وسبق لأوباما في 2012 أن هدد بأنَّ استخدام الأسد للأسلحة الكيميائية خط أحمر. نصح المسؤولون أوباما بأن يأمر بشن ضربة عسكرية، وشمل ذلك رئيس هيئة الأركان المشتركة مارتي ديمبسي. لكن المستشار الذي حث على اتخاذ أكبر قدر من الحذر ضد العمل العسكري هو دينيس ماكدونو، حيث أثار تساؤلات حول الأساس القانوني لذلك وماذا سيحدث بعد ذلك، ماذا لو قصفنا سوريا ورد الأسد باستخدام المزيد من أسلحته الكيماوية؟ هل سنرسل قوات برية لتأمين تلك المخزونات؟ في نهاية الاجتماع، قال أوباما إنَّه لم يتخذ قرارًا بعد، ولكنه يريد إعداد الخيارات العسكرية.

ظل أوباما يركز على فريق التفتيش التابع للأمم المتحدة الموجود على الأرض في سوريا. فاتصل على بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة، وحثه على إخراجهم. ورفض بان قائلًا إنَّ على الفريق إنهاء عمله. قال أوباما: "لا يمكنني المبالغة في أهمية عدم البقاء في سوريا لفترة طويلة". ورد بان بأنَّ الأمر قد يستغرق بضعة أيام. ضغط أوباما مرة أخرى قائلًا يجب أن يخرجوا في الليلة التالية.

كانت مكالمة أوباما التالية مع أنجيلا ميركل التي جادلت بأنَّ فريق الأمم المتحدة يجب أن يكون لديه الوقت لإعداد وتقديم تقريره، وعند هذه النقطة يجب أن نتابع قرار مجلس الأمن الذي يسمح باتخاذ إجراء، فإذا منعنا الروس، فعندئذ على الأقل قد حاولنا. قال أوباما سيستغرق هذا عدة أسابيع مدركًا أنَّ تأخيرًا بهذا الطول سيكبل يديه، خاصة لأنَّه لم يكن هناك الكثير من الدعم الشعبي للحرب في الولايات المتحدة. وردت ميركل إنَّها تريد استغلال الوقت لبناء اتفاق بين الدول الأوروبية.

بعد أن أغلق أوباما الهاتف، جاء إلى حيث نجلس. كانت هذه هي المرة الأولى التي رأيته فيها غير مرتاح للعمل في سوريا. ومثلما كانت الأمور تتعثر في أوروبا، تزايدت معارضة الكونجرس في الداخل. فقد كتبت مجموعة كبيرة من أعضاء الكونغرس الجمهوريين لأوباما رسالة هددته فيها بصراحة: (إشراك جيشنا في حرب بسوريا عندما لا يوجد تهديد مباشر للولايات المتحدة ودون تفويض مسبق من الكونجرس من شأنه أن ينتهك الفصل بين السلطات الذي تم تحديده بوضوح في الدستور).

شعرت وكأنني محاصر في نظام يغذيه النفاق والانتهازية. فلمدة ثماني سنوات، دافع الجمهوريون عن قدرة بوش على فعل ما يشاء كقائد أعلى للقوات المسلحة. الآن هم مكرسون فجأة للقيود الدستورية على القائد العام، ولقد اعتدت على أسلوب السياسة الذي لا يلين من قبل معارضي أوباما ومحاولة العثور على أي معلومة يمكن أن تحرجه، وتضعه في موقف دفاعي وركز الكونجرس على خلق فخ سياسي لأوباما.

ثم صوت مجلس النواب البريطاني بنسبة 285-272 ضد الانضمام إلى الضربات التي قد تشنها الولايات المتحدة على سوريا بعد نقاش مليء بمطالب بعدم اتباع المملكة المتحدة للولايات المتحدة في طريق الحرب كما اتبع توني بلير جورج بوش في حرب العراق. اتصل ديفيد كاميرون بأوباما للاعتذار وأوضح أنَّه لم يعد قادرًا على تقديم دعمه.

ورغم دعم كلينتون ومنظمة إيباك والسعودية لشن حرب ضد الأسد، فقد أعلن أعضاء الكونغرس في كلا الحزبين بمن فيهم الأشخاص الذين طالبوا سابقًا بالتحرك في سوريا بأنَّهم سيصوتون ضد الإذن بشن حرب ضد سوريا. وبرزت الخشية من أنَّ الحرب يمكن أن تأخذ منعطفًا سيئًا مثل أفغانستان والعراق وليبيا. فاقترح أوباما على بوتين العمل معًا لإزالة وتدمير الأسلحة الكيماوية السورية، وهو ما وافق عليه نظام الأسد.

بعد إعادة انتخابه، اجتمع أوباما مع مجموعة من المؤرخين الرئاسيين أوضحوا له أنَّ أهم شيء يمكن أن يفعله الرئيس في السياسة الخارجية هو تجنب الخطأ المكلف. لقد دقق في قائمة الرؤساء الذين رأوا أنَّ فترات ولايتهم محددة بمثل هذه الأخطاء: جونسون في فيتنام، بوش في العراق. الدرس هو "لا تفعل أشياءً غبية".

## الفصل السابع عشر: لقاء لم ينعقد مع روحاني

في عام 2012، نشر ديفيد سانجر من صحيفة نيويورك تايمز كتابًا تضمن تفاصيل حول سلاح إلكتروني مزعوم قام بتخريب أجزاء من البرنامج النووي الإيراني، وذكرت وكالة أسوشيتدبرس أنَّ الولايات المتحدة لديها مصدر داخل فرع القاعدة في اليمن ساعد في إحباط هجوم إرهابي. لم تكن التسريبات أمرًا غير معتاد.

كان هذان النوعان مختلفين لأنَّهما مفصلان وسُربا في ربيع عام الانتخابات الرئاسية، وطالب الجمهوريون بإجراء تحقيقات. وقال جون ماكين: "إنَّهم يسربون المعلومات عن عمد لتحسين صورة الرئيس أوباما في الانتخابات". وكلف المدعي العام إريك هولدر المحامين الأمريكيين بالتحقيق.

في 14 يونيو 2013، انتُخب حسن روحاني رئيسًا لإيران ممثلًا للفصيل الأكثر اعتدالًا في السياسة الإيرانية. لم يكن المرشح المفضل للمرشد الأعلى المتشدد في إيران علي خامنئي.. وقد نظم روحاني حملته على أساس برنامج يسعى إلى تحسين العلاقات مع الغرب، وربط التقدم في القضية النووية بتحسين الاقتصاد الإيراني. وأشار انتخابه إلى أنَّ الرأي العام الإيراني يمكن أن يمارس الضغط على قيادة البلاد من الأسفل إلى الأعلى. وإذا كان هذا الضغط كافيًا لانتخاب روحاني، فربما يجبر إيران على تقديم تنازلات في برنامجها النووي.

خلال اجتماع صباحي بعد فترة وجيزة من الانتخابات، قال أوباما "لماذا لا أبعث برسالة إلى روحاني؟". وبتوجيه من أوباما، صغت خطابًا لروحاني يقترح فيه إجراء مناقشات حول الملف النووي. وفي غضون أسابيع تلقينا ردًّا إيجابيًّا حيث أراد الإيرانيون بدء عملية دبلوماسية.

على مدار ذلك الصيف، عدنا إلى حكومة سلطنة عمان التي عرضت في الماضي استضافة اجتماعات بين الولايات المتحدة وإيران، لمعرفة ما إذا كان بإمكانهما استضافة مثل هذا الاجتماع. وهكذا في شهر أغسطس في نفس الوقت الذي كنت أتبع فيه الدبلوماسية السرية مع كوبا، أطلقنا قناة دبلوماسية سرية مع الإيرانيين في عمان بقيادة جيك سوليفان وبيل بيرنز نائب وزير الخارجية.

بعد بضعة أسابيع، وضع بيل وجيك إطار عمل لاتفاق مؤقت: سيقوم الإيرانيون بشكل أساسي بتجميد برنامجهم النووي مقابل بعض التخفيف المحدود من العقوبات. ولتحقيق ذلك، سيتعين علينا تحويل دبلوماسيتنا إلى ما يسمى بعملية خمسة زائد واحد، حيث يتفاوض الأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن بالإضافة إلى ألمانيا مع الإيرانيين.

وخلال اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في أواخر سبتمبر سينضم جون كيري إلى اجتماع مع دول مجموعة 5 + 1 الأخرى وإيران لبدء المفاوضات الرسمية، والتي ستمثل أعلى مستوى اتصال بين الولايات المتحدة وإيران منذ عقود.

ومع اقتراب موعد تلك الاجتماعات، ظهر سؤال آخر: هل سيلتقي أوباما مع روحاني الذي سيقدم أيضًا إلى نيويورك؟ في رده على مستشاريه السياسيين الذين اعتقدوا أنَّ آخر ما يحتاجه أوباما هو صورة مع الرئيس الإيراني، أخبرنا أوباما أنَّه سيجري الاجتماع. لقد اعتبرت ذلك بمثابة إشارة إلى أنَّه مستعد لتحمل الكثير من المخاطر السياسية إذا كان ذلك يعني التوصل إلى اتفاق نووي.

في أول ليلة لنا بنيويورك، غادر جيك سوليفان للذهاب للقاء الوفد الإيراني في بهو الفندق. وأخبره الإيرانيون أنَّ روحاني مهتم بالاجتماع، لكنهم لم يلتزموا بعقده. وبدا واضحًا أنَّهم أرادوا عقد الاجتماع لكنهم كانوا قلقين بشأن كيفية اللعب مع المتشددين في طهران.

كانت الفرصة الوحيدة التي سيكون فيها أوباما وروحاني في مبنى الأمم المتحدة في نفس الوقت بعد خطاب أوباما أمام الجمعية العامة. وقلنا للأمم المتحدة إنَّ أوباما بحاجة إلى مكان ما لينتظر بين الاجتماعات، وعرضوا عليه بعض المكاتب المجاورة لمجلس الأمن. لذلك جلس هناك في جناح مكتب الأمم المتحدة يفحص جهاز iPad الخاص به، بينما تحدث جاك يسير في الخارج في الردهة عبر هاتفه المحمول مع شخص إيراني. وقال له أوباما: "أخبرهم فقط أنَّني سعيد بلقائه".

لم يستطع الإيرانيون الموافقة على عقد اللقاء، ولذا غادرنا دون لقاء. سرت في أروقة مبنى الأمم المتحدة، وسألت أوباما عما يجب أن نقوله علنًا. قال "فقط قلها مباشرة". "كنا على استعداد للقاء، ولكن لأسباب خاصة بهم لم يتمكنوا من عقده" جمعت مجموعة من المراسلين ووجهت هذه الرسالة التي ستجعل الإيرانيين غير مرتاحين.

كان روحاني يحاول تصوير نفسه في الداخل وفي جميع أنحاء العالم على أنَّه رجل عاقل ملتزم بالحوار. كنا نقوض تلك الرواية. بعد عودتنا إلى واشنطن، تواصل الإيرانيون مع جيك وطرحوا أفكارًا مختلفة. وسألوا هل سيعود أوباما إلى الأمم المتحدة لحضور اجتماع مجموعة 5 زائد 1؟ قلنا لا، معظم القادة لم يكونوا هناك. هل ستتاح مكالمة هاتفية؟ قلنا نعم.

في آخر يوم لروحاني في نيويورك، جلست على الأريكة في المكتب البيضاوي بينما اتصلنا بهاتف محمول تم تسليمه لروحاني الذي كان يتحرك بسيارته إلى المطار. بعد ذلك شاهدت أوباما كأول رئيس أمريكي يتحدث إلى رئيس إيراني منذ ثورة عام 1979. استمرت المحادثة الودية خمس عشرة دقيقة. وشدد كلاهما على ضرورة مواصلة الحوار والتوصل إلى اتفاق بشأن البرنامج النووي.

وردًّا على ذلك، أصبحت مكالمات أوباما الهاتفية مع نتنياهو أكثر حدة في ظل رفض الأخير للاتفاق النووي مع إيران. لكن عقد جون كيري الاتفاق مع إيران رغم الضغوط الخليجية والإسرائيلية. وكان على أوباما أن يوازن بين الأمن والسياسة. فعلى سبيل المثال، عارضنا باستمرار امتلاك إيران أي أجهزة طرد مركزي في فوردو، وهو موقع مدفون في أعماق الأرض، وبالتالي فهو هدف عسكري صعب. وأراد الإيرانيون الاحتفاظ ببعض أجهزة الطرد المركزي هناك، ولكن مع وجود أختام إلكترونية في مكانها للتأكد من إيقاف تشغيلها. وفي المقابل، سيقدمون تنازلات إضافية في قضايا أخرى.

كانت قضيتنا واضحة: الاتفاق منع إيران من الحصول على سلاح نووي. وأصبح على الإيرانيين إزالة ثلثي أجهزة الطرد المركزي، ولم يتمكنوا من استخدام أجهزة الطرد المركزي الأكثر تقدمًا، وكان عليهم التخلص من 98 بالمائة من مخزونهم، وتحويل مفاعل الماء الثقيل حتى لا ينتج البلوتونيوم. وسيتمكن المفتشون من الوصول على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع إلى المنشآت النووية الإيرانية، والوصول إلى سلسلة التوريد النووية الإيرانية بأكملها.

وعقب ذلك، أصدر رئيس مجلس النواب بوينر بيانًا صحفيًّا أعلن فيه أنَّ نتنياهو سيسافر إلى الولايات المتحدة بناءً على دعوة تلقاها لإلقاء كلمة في جلسة مشتركة للكونجرس. لم نتلق أي إشعار مسبق بهذه الزيارة من بوينر أو الحكومة الإسرائيلية. هذا النوع من التدخل في السياسة الخارجية الأمريكية -زعيم

أجنبي تمت دعوته للضغط على الكونجرس الأمريكي ضد سياسة الرئيس الحالي- لم يكن من الممكن تصوره في عام 2009. ولكن بحلول عام 2015، أصبح نتنياهو تقريبًا عضوًا فعليًّا في الحزب الجمهوري، وتخلى الجمهوريون عن أي قواعد تتعلق بالعمل مع حكومة أجنبية لتقويض سياسات الرئيس الحالي.

## الفصل الثامن عشر: العرق، مانديلا، وكاسترو، وأبرز المواضيع المتبقية بالكتاب

روجت وسائل الإعلام اليمينية أنَّ أوباما يكره أمريكا، وتخترع فضائح لا أصل لها، وانتشرت رسائل في وسائل التواصل الاجتماعي تصفه بأنَّه قرد كيني وُلد مسلمًا. ورفض الجمهوريون في الكونجرس العمل معه لمدة ثماني سنوات كاملة، وحين دعا أوباما الجمهوريين في الكونغرس لحضور عرض في دار السينما بالبيت الأبيض لفيلم لستيفن سبيلبرغ حول كيفية عمل أبراهام لينكولن مع الكونجرس لتمرير التعديل الثالث عشر لإلغاء الرق، لم يأتِ أحد منهم.

وإثر وفاة نيلسون مانديلا، حضر أوباما مراسم تأبينه في جنوب إفريقيا، وصافح هناك الرئيس الكوبي راؤول كاسترو، وقال أوباما كان الكوبيون على الجانب الأيمن من الفصل العنصري، وكنا في الجانب الخطأ. ففي الثمانينيات، بينما دعم ريغان حكومة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، خاضت كوبا حربًا ضد حلفاء نظام الفصل العنصري في أنغولا. وكان انتصارهم الحاسم في عام 1988 نقطة تحول في مسار بقاء هذا النظام.

خلال تلك الفترة علق إدوارد سنودن في مطار موسكو محاولًا العثور على جهة تستقبله. وبحسب ما ورد، فقد أراد الذهاب إلى فنزويلا مرورًا بهافانا، لكنني علمت أنَّه إذا ساعد الكوبيون سنودن، فأي تقارب بين بلدينا سيكون مستحيلًا. قلت لأليخاندرو كاسترو إنَّ لدي رسالة من الرئيس أوباما بأن يعطوه مساحة سياسية حتى يتمكن من اتخاذ خطوات لتحسين العلاقات، فإذا استقبلوا سنودن، فسوف تختفي تلك المساحة السياسية. وبالفعل رفض الكوبيون استقبال سنودن.

بينما أردنا من كوبا إصلاح اقتصادها ونظامها السياسي، أرادت كوبا رفع العقوبات وحظر السفر عنها، واستعادة القاعدة البحرية في خليج غوانتانامو، وإنهاء تمويلنا لبرامج نشر الديمقراطية وراديو وتلفزيون مارتي المعارضين. لن نتمكن من إنجاز كل هذا، كانت هناك أشياء لم يكن أي من الجانبين مستعدًا للقيام بها. لكن مهمتنا أصبحت أكثر وضوحًا، فقد كنا بحاجة إلى إيجاد حل ما بشأن السجناء، وكنا بحاجة لمعرفة ما يمكن أن يفعله كل جانب لتحسين العلاقة.

لم يكن أوباما يريد الانفصال عن العالم. أراد أن يشارك أكثر، فمن خلال الحد من مشاركتنا العسكرية في الشرق الأوسط، سنصبح في وضع أفضل لتسخير مواردنا الخاصة وتأكيد أنفسنا في أماكن أكثر بشأن المزيد من القضايا، ولإعادة بناء اقتصادنا في الوطن، وللمساعدة في تشكيل مستقبل منطقة آسيا والمحيط الهادئ وإدارة صعود الصين، ولفتح أماكن مثل كوبا وتوسيع النفوذ الأمريكي في إفريقيا وأمريكا اللاتينية، ولتعبئة العالم للتعامل مع التهديدات الوجودية الحقيقية مثل تغير المناخ.

وقد لعب الفاتيكان دورًا في تعزيز الوساطة مع كوبا بعد أن وصلت لحائط سد، وعمل لضمان أي اتفاق بين الطرفين، وهو ما تطلب زيارة من أوباما لبابا الفاتيكان فرانسيس في روما لعرض هذا الدور عليه. ووافق أوباما على السماح بتبادل الكوبيين الثلاثة الباقين المسجونين في الولايات المتحدة مقابل أصولنا الاستخباراتية وآلان جروس، ووافق الكوبيون على إطلاق سراح 53 سجينًا سياسيًّا وتوسيع الوصول إلى الإنترنت. واتفقنا على اتخاذ خطوات لتخفيف القيود المفروضة على السفر والتجارة مع كوبا ضمن حدود الحظر الذي لا يمكننا رفعه دون الكونغرس.

واتصل أوباما هاتفيًّا على راؤول كاسترو في أول اتصال من نوعه بين القادة الأمريكيين والكوبيين منذ الثورة الكوبية. ولاحقًا زار أوباما كوبا، وأذيعت كلمته للشعب الكوبي بحضور راؤول كاسترو دون رقابة. كما زار أوباما فيتنام ثم زار هيروشيما في أول زيارة لها من رئيس أمريكي.

## مواجهة داعش

مع صعود تنظيم داعش، بدأ أوباما حملة قصف محدودة في العراق وسوريا ووضع فِرَقًا صغيرة من المستشارين الأمريكيين على الأرض للمساعدة في تنظيم القوات الكردية العراقية والسورية التي كانت بدأت في استعادة الأراضي من داعش. لقد وضع أوباما قيودًا صارمة على أعداد هذه القوات، وما يمكن أن يفعلوه، مما أدى إلى سلسلة أخرى من الشكاوى حول "إدارة أوباما التفصيلية" للبنتاغون.

كان تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام تهديدًا خطيرًا بما يكفي لتبرير شن آلاف الضربات الجوية، لكن انزعج أوباما عندما سمع وصف ذلك التهديد بأنَّه "وجودي". فقد قتل تنظيم داعش أربعة أمريكيين، وهو عدد ضئيل مقارنة بأولئك الذين فقدوا حياتهم في العراق وأفغانستان. وقال أوباما وظيفتي تهدئة الناس وليس إخافتهم، يموت عدد أكبر من الناس وهم ينزلقون في حوض الاستحمام بشكل أكثر من الهجمات الإرهابية.

إنَّ الحرب في سوريا كانت جزئيًّا نتيجة غير مقصودة لحروب أمريكية أخرى. فقد أدت الإطاحة بصدام حسين إلى تقوية إيران، واستفزاز بوتين، وفتح صندوق باندورا للصراع الطائفي الذي اندلع في العراق وسوريا، وأدى إلى تمرد أسفر عن ولادة داعش. لقد أوضحت الإطاحة بمعمر القذافي للديكتاتوريين أنَّك إما أن تتشبث بالسلطة أو ينتهي بك المطاف ميتًا في المجاري. بدت سوريا أكثر فأكثر وكأنها مستنقع أخلاقي - مكان حيث كان تقاعسنا عن العمل مأساة، ولن يؤدي تدخلنا إلا إلى تفاقم المأساة. استمر أوباما في البحث عن الخيارات التي يمكن أن تحدث فرقًا إيجابيًّا، ولم يجد أي شيء.

## صدمة فوز ترامب

مع اقترابنا من السنة الأخيرة من رئاسة أوباما، سكنَّا عالمين مختلفين. في أحدهما توصلنا إلى اتفاقية عالمية بشأن تغير المناخ، وعقدنا صفقة إيران، ونما الاقتصاد، واشترك عشرون مليون شخص في برنامج الرعاية الصحية، وارتفعت نسبة التأييد لأوباما. في جانب آخر، رسم المرشحون الجمهوريون للرئاسة صورة لكابوس الجريمة البائس، والهجرة المتفشية، وإرهاب داعش، وركود الأجور في أمريكا، كما أطلقوا انتقادات لسياسة أوباما الخارجية، وألقوا اللوم عليه في أزمة أوكرانيا 2014، والكارثة في سوريا، وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وصعود الصين أمام ناظريه.

على مدى أيام، حاولنا فهم ما حدث في الانتخابات الرئاسية عام 2016. فأوباما لم يصدق أنَّ الحزب الديموقراطي خسر الانتخابات، فالبطالة بلغت في عهده 5% فقط، والوقود يباع بسعر دولارين للغالون. وقد أخبرني عن مقال قرأه في صحيفة نيويورك تايمز يشير إلى أنَّ الليبراليين قد نسوا مدى أهمية الهوية للناس، وقال "ربما يريد الناس فقط العودة إلى قبيلتهم".

بعد فترة وجيزة من الانتخابات، دعا أوباما إلى عقد اجتماع لمجلس الأمن القومي بشأن روسيا. وافتتح حديثه بالقول إنَّه يريد من مجتمع الاستخبارات إجراء مراجعة شاملة لتدخل روسيا في الانتخابات يمكن تقديمها إليه وإلى الكونجرس قبل أن يترك منصبه. وقال: "نحن بحاجة إلى تعلم الدروس حول ما فعلوه، لأنَّهم سيفعلون ذلك مرة أخرى".

واحدًا تلو الآخر، قادنا قادة مجتمع الاستخبارات عبر ما يعرفونه. لقد كان الأمر أسوأ مما كنت أعرفه سابقًا، وأكثر اتساعًا، ومصممًا بشكل أكثر وضوحًا لمساعدة ترامب. وفكرت في كل القصص المختلقة عن هيلاري مثل اعتلال صحتها وفسادها وجرائمها. بدا من المستحيل معرفة من أين بدأوا جميعًا؛ أيهم اخترعه اليمين الأمريكي وأيهم اخترعه الروس؟ كيف ينشرون هذا التدفق من المحتوى بشكل متزامن أو منسق مع حملة ترامب، وبحلول 21 يناير 2017 كنت من بين أفراد فريق الإدارة الذين لا يعرفون ماذا سيفعلون في اليوم التالي من حياتهم.